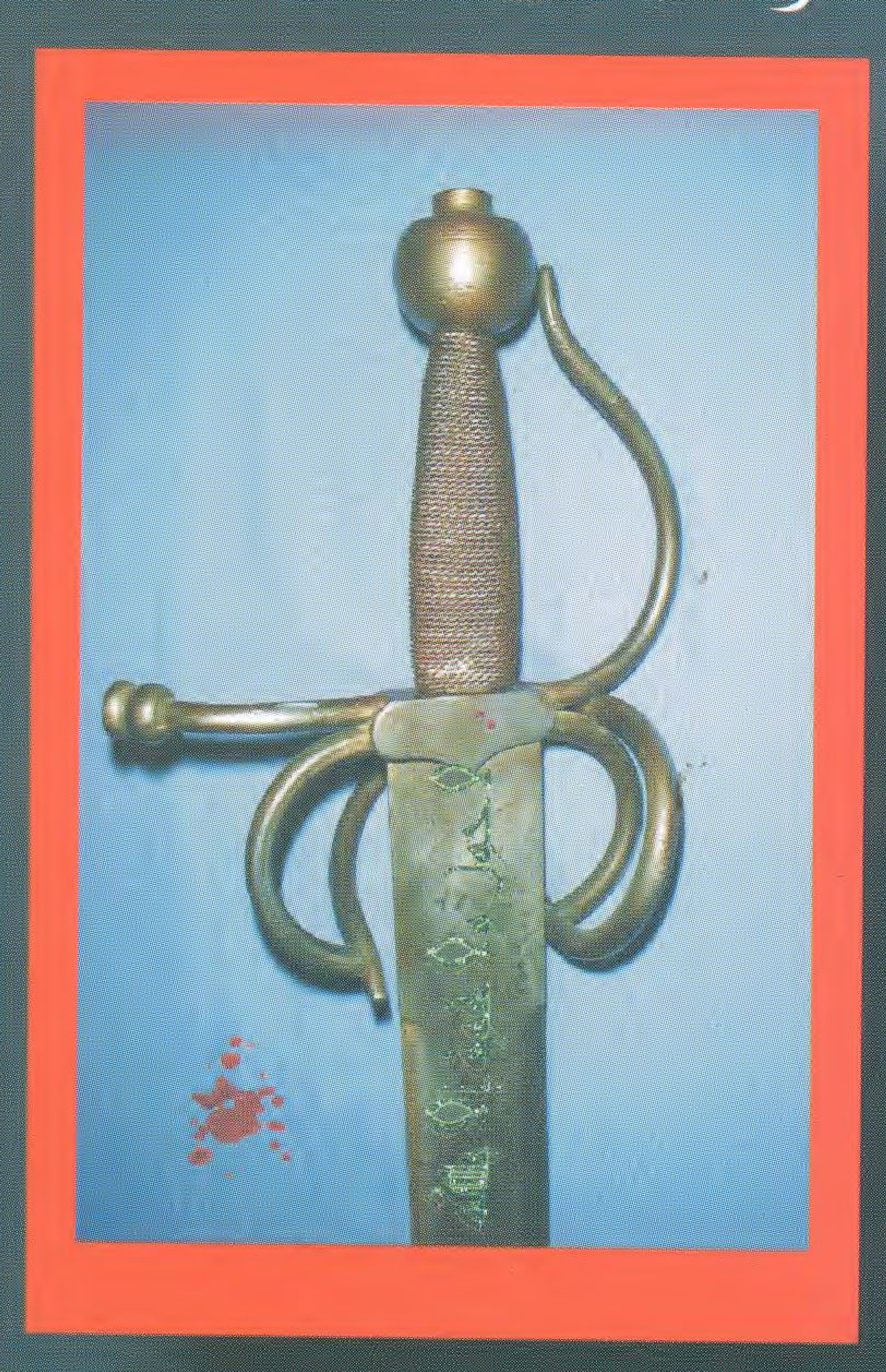
الدكتور جمال الخطيب

على مذبح الحكم

قراءة في نصوص اسلامية تاريخية





25 عاما من العطاء

على مذبح الحكم

قراءة في نصوص تاريخية إسلامية

الدكتور جمال الخطيب



25 عاماً من العطاء في صناعة الكتاب

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى الدائرة الوطنية (2008/4/1003)

957
الخطيب، جمال عبد الناصر
على مذبح الحكم/ جمال عبد الناصر الخطيب.-
عمان: دار مجدلاوي، 2008.
(   ) ص.
ر.أ: (2008/4/1003)
الواصفات: / التاريخ الإسلامي// الإسلام// الإسلام// الأحكام السلطانية.
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى 1429هـ - 2008م

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تليفاكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩
ص . ب ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١
عمان - الاردن

Dar Majdalawi Pub.& Dis.
Telefax: 5349497 - 5349499
P.O.Box: 1758 Code 11941
Amman- Jordan

www.majdalawibooks.com
E-mail: customer@majdalawibooks.com

ISBN -978-9957-02-324-9

الفهرس

مشاهد وذكريات وحوارات

عندما وصلتني مخطوطة الكتاب عبر الايميل، تداعت أمام عيني مشاهد عديدة، ومرت على ذاكرتي أحداث كثيرة، وتذكرت حوارات ليلية في القاهرة وفي الأردن عمان – حيث تم استضافتي من قبل الأعز جمال الخطيب وبكرم معروف عنه، نزلت في منزله العامر فعرفت العائلة وتواصلت في الحوار.

مشاهد وذكريات وحوارات

كان تعارفي الأول بجمال الخطيب في شقة الدقي – بجوار مخبز الجهاد، حيث يقيم ومعه الصديق العزيز صالح أبو سمرة وبعد أحداث انتفاضة الخبز في يناير 77، وكنت من المطلوبين لجهاز الأمن المصري حيث شاركت في قيادة الانتفاضة هربت وكان المخبأ شقة الدقي ومعي عبدالله السناوي رئيس تحرير جريدة العربي الناصري الآن و دكتور صفوت حاتم طبيب الأوعية الحاصل على الدكتوراه من فرنسا الآن ومحمد حماد الصحفي وطالب الحقوق آنذاك.

في هذا المخبأ الذي احتوانا لأكثر من شهر كان جمال الخطيب الإنسان في أروع تجسيداته كاشفا عن أصالة معدنه فبعد الإفطار المجهز من قبله وقراءة الصحف لمتابعة الأخبار وكذلك المقبوض عليهم في تلك الأحداث نجلس في حوار متواصل بغرض التثقيف وهكذا تناولنا بتكثيف الفكر القومي العربي والناصرية في القلب منه ودور الزعيم عبد الناصر والتاريخ الإسلامي وبعد أن انقضت فترة الهروب تلك بشهور وفي عام 1978 التحقت بخدمة العلم في القوات المسلحة المصرية ووصل إلي علمي أن جمال سوف يسافر إلي منزله الكبير فأخذت أجازة 24 ساعة وكان يوم جمعة وذهبت لكي أودعه، إلا أنني وجدتني مقبوض عليا وعرفت أن كل من كان في الشقة أيضا قد تم القاء القبض عليه وقد كان من بينهم كمال أبو عيطة ومحمد حماد وحسين عبد الغني وآخرين والتهمه قلب نظام الحكم والتحقيق

مصحوبا بالتعذيب في معتقل القلعة وهي من أشهر المعتقلات في ذلك الوقت وقد كانت فترة من أصعب فترات الحياة فالبنسبة لي فقد عبرت بحو إلي ثمانية سجون حتى وصلت إلي سجن السلاح الذي كنت اخدم فيه العلم وبالنسبة لجمال الخطيب وصالح أبو سمرة لقد أخرجا من مصر مرحلين وأضافوا لجمال ضمور في عضلات الذراع من جراء التعذيب. حتى الآن جمال لا يستطيع أن يدخل مصر إلا أني قد رأيته في الأردن بعد فترة طويلة من الانقطاع وحملني هدية قيمة (مجموعة من الدراسات الإستراتيجية عن الصراع العربي الصهيوني) حيث كان يعلم تخصصي في هذا الشأن وتواصل الحوار حول الوضع العربي المأزوم في كل مرة كنا نلتقي ونصل دائما في نهاية الحوار إلي أن هناك أهمية قصوى لقراءة عميقة للسلطة في التاريخ الإسلاميبح ولعل هذا ما يجعلنا نعيش تكرار تلك الأزمات بطريقه أشبه ما تكون بإعادة التاريخ لنفسه رغم أن التاريخ لا يعيد نفسه وفي مكالمة أخيرة بيني وبين جمال ذكرني بأنه أخذ أول كتاب عن الإسلام من مكتبتي لذلك لم تعتريني الدهشة عندما وصلتني مخطوطة عميقة تطرح للحوار قضية السلطة والقبيلة والإسلام حاول فيها جمال الخطيب الاجتهاد في الإجابة علي أسئلة هل يقوم الإسلام دون دولة فيكون الدين والإيمان والثواب والعقاب ؟ أم ان قيام الدولة تكليف شرعي للعباد ؟ وكيف حكم المسلمون أنفسهم علي مر العصور ؟ هل حكمهم القوي قاهرا أم التقي عادلا أم الابن وارثا ؟

تلك كانت كلمات سطرتها حاولت فيها أن أتذكر مشاهد وأحداث وحوارات لعلها أثمن ما في عمري.

أمين إسكندر

القاهرة

السبت 26\4\2008

السلطة في التاريخ الاسلامي

قراءة في النصوص

هل يقوم الاسلام دون دولة, فيكون الدين والإيمان والكفر والثواب والعقاب بين الانسان وربه دونما وسيط؟ أم أنّ قيام الدولة تكليف شرعي للعباد لا يقوم لدينهم قائمة دونها؟

هل كان هناك جسم دائم في التاريخ يطلق عليه الدولة الاسلامية؟ وهل كان لهذا الجسم شكل ومواصفات ثابتة على مر العصور أم تغير بتغير الأحوال والمعارف؟

وهل كان وجود الدولة أو الحكومة أساساً من أساسات الدين أم كان ضرورة تنظيمية فقط وليست من أصول الدين؟ ألا يوجب الدين أن تكون له هيئة ترعاه وتطبقه؟ أم هو أمر بين الإنسان وربه وحسابه يوم القيامة لا اليوم؟

وهل كان هناك إجماع على ضرورة وجود هكذا جسم أو هيئة أو دولة؟ فإن كان الأمر كذلك، فهل أجمع الناس على شكلها أو مضمونها أو كليهما؟ كيف يتكون ومن يشكله ويكونه ومن يرأسه وما هي صلاحيات من يرأسه, وكيف ينتخب ومن ينتخب أو يبايع هذا الرئيس أو الإمام أو الخليفة أو الأمير؟ العامة.. أهل الحل والعقد أم هي عناية الله؟.

من أين يستمد قوته وشرعيته؟ ممن انتخبوه فقط أم انه يستمدها من قوة اعظم؟ هل الحاكم ممثل لله أم للناس وهل هو ملزم الطاعة بلا حدود أم أن للطاعة والبيعة حدوداً لا يتجاوزها، فان فعل فسدت، أو بطلت بيعته؟

وكيف حكم المسلمون أنفسهم على مر العصور؟

هل حكمهم القوي قاهراً أم التقي عادلاً أم الابن وارثاً؟

لم تثر مسألة الخلاف بين المسلمين كما اثارته مسألة من يحكمهم وكيف يحكمهم، ففي حين ذهب جمهرة السنة إلى ضرورة تنصيب خليفة أو أمير تعقد له البيعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به, ذهب الشيعة إلى وجوب الإمامة التي تقع بالاختيار من الله لا بالعقد مع الناس لا تنقضها ولا تثبتها بيعة وهي تقع حكماً في آل البيت، ولعل من يجتهد في بحث هذا الخلاف يجد نفسه محاطاً بالتفسيرات والتبريرات التي لا تنقصها الحكمة ولا الأسانيد ولا حتى التأويل، فاذا ما اجتهد اكثر في معرفة التفاصيل وبقية مواقف الفرق والفروع والفقهاء وجد نفسه في موقف اصعب, على ان بحثنا هنا ليس بحثاً في الوجوب من عدمه ولا هو بحث فقهي لمحاججة راي براي, إنما هو نظرة متفحصة لواقع الحال كما كان فعلاً لنعرف كيف ابتدأ وإلى أين انتهى، وكيف تصارعت الافكار والمبادئ والمعتقدات والعصبية والمصالح ومتى سادت هذه ولم فازت تلك وأين الثابت في هذا البحر

المتلاطم المتغير من العصبيات والدول والتداول وأين التغيير والتأويل في تفسير الثابت من الأمور.. أين الحدود بين القبيلة والشرع بين القوة والعدل وبين المصحف والسيف...؟

وقد اتبعت في متابعة الاحداث طريقة عرض النصوص التاريخية كما هي، ومن ثم التعليق عليها وقد اجتهدت أن أختار النص المعتدل المتوازن في سرد ما حدث، وان ابتعد عن اعتماد النص المغالي والمتشدد في تحيزه.

أما في شرح طبيعة الحكم لدى الخلفاء والأمراء أو الائمة, فقد لاحظت ان كل خليفة كان يبتدئ عهده بخطبة افتتاحية يوضح فيها شرعية حكمه وما يستند إليه، ومن ثم يشرح سياسته وأُسلوبه في الحكم وفي مرات عدة كنت مضطراً لمراجعة غير خطبة، واحياناً غير رواية للخطبة الواحدة، وقد عرضتها كما هي مع الاشارة لمصدرها، وفي مرات أخرى عرضت لخطب بعض الولاة البارزين الذين كان لهم اثر كبير في سياسات أمرائهم. وقد راعيت التتابع التاريخي في عرض النصوص، ومن ثم التعليق على كل حدث ليتبين القارئ مدى التغير الذي كان يصيب الخطاب السياسي والرسمي على مر العصور، ومع تبدل الأيام والمصالح، ثم حاولت في النهاية استخلاص العناصر الرئيسية وربما الاكثر ثباتاً في الدولة العربية الاسلامية والتحقق منها وشرحها كما كانت فعلاً وكما استمر الكثير منها حتى أيامنا هذه،

وليس من باب علاقتها بالشرع، ولعل هذا مادفعني إلى تسمية البحث بـ "السلطة في التاريخ الاسلامي" وليس "السلطة في الاسلام" فهو بحث تاريخي فيما حدث فعلاً، وليس في ما كان يجب أن يحدث لجهة شرعيته أو مشروعيته.

لنبدأ من حيث بدأت المسألة.. سقيفة بني ساعدة.. حيث اجتمع القوم بعد أن رحل من لا خلاف عليه، فانقطع برحيله القول الفصل وصلة الأرض بالسماء.

حديث السقيفة

قال ابو عمر الانصاري: لما قبض النبي - ﷺ- اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة واخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الأمر وكان مريضاً فقال بعد أن حمد الله: معشر الأنصار, لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لأحد من العرب. إن محمداً ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان, فما آمن به الا القليل، ما كانوا يقدرون على منعه ولا على اعزاز دينه, ولا على دفع ضيم حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله، والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم اشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، واعطى البعيد المقادة صاغراً <u>فدانت لرسوله باسيافكم العرب</u> وتوفاه الله وهو عنكم راض، بكم قرير العين. <u>استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دونهم</u>. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت وأصبت الرأي ونحن نوليك هذا الأمر، فانك مقنع ورضا للمؤمنين.

ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا: فإن أبى المهاجرون من قريش وقالوا: نحن المهاجرون واصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فانا نقول: منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بغير هذا ابداً. فقال سعد: هذا: أول الوهن

وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبي ﷺ وابو بكر فيه فأرسل اليه أن اخرج إليّ فارسل إليه اني مشتغل، فقال عمر: قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج اليه فاعلمه الخبر، فمضياً مسرعين نحوهم ومعهما ابو عبيدة قال عمر: فأتيناهم وقد كنت زورت كلاماً أقوله لهم، فلما دنوت اقول، اسكتني **ابو بكر** وتكلم بكل ما اردت ان اقول فحمد الله، وقال: ان الله قد بعث فينا رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم **فخص الله المهاجرين الأولين** من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم اياه وكل الناس لهم مخالف زأر عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم **فهم أول من عبد الله في هذه الارض** وآمن بالله وبالرسول ﷺ **وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده** لا ينازعهم إلا ظالم، وانتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام رضيكم الله انصاراً لدينه ورسوله، من لا ينكر فضله في الدين ورسوله وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلة ازواجه واصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم **فنحن الأمراء وانتم الوزراء** لا تفاوتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور.

فقام **الحباب بن المنذر بن الجموح** فقال: يا معشر الانصار أملكوا عليكم أمركم **فان الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم** ولا يصدر الناس إلا عن رأيكم انتم أهل العزّ والثروة، وأولوا العدد والمنعة وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، أبى هؤلاء الا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير.

فقال **عمر**: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، **والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم**، ولا تمتنع العرب ان تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة على من ينازع سلطان محمد ﷺ **ونحن أولياؤه وعشيرته.**

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه **فاجلوهم عن هذه البلاد**، وتولوا عليهم هذه الأمور فانتم والله احق بهذا الأمر منهم، فانه باسيافكم دان الناس لهذا الدين، انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، أنا ابو شبل في عرينه الاسد والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: اذا ليقتلك الله فقال: بل إياك يقتل.

فقال **أبو عبيدة**: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير، فقام **بشير بن سعد** ابو النعمان بن بشير

فقـال: يـا معـشر الانـصار، انـا والله وإن كنـا أولـي فـضيلة في جهـاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما اردنا بـه الا رضـا ربنـا وطاعـة نبينـا والكدح لانفسنا فما ينبغي ان نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً الا ان محمداً ﷺ من قريش وقومه أولى به، وايّم الله لا يرانـي الله انـازعهم هـذا الأمـر أبـدا، فـاتقوا الله ولا تخـالفوهم ولا تنازعوهم.

فقال ابو بكر: هذا عمر، وهـذا ابـو عبيـدة فأيهمـا شئتم فبـايعوا فقالا: **والله لا نتولى هذا الأمر عليك وأنت افضل المهـاجرين وخليفـة رسول الله ﷺ في الصلاة، وهي أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له ان يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك**، ابسط يدك نبايعـك. فلمـا ذهبـا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بـن المنـذر: عققـت عقاقاً ما أحوجك إلى ما صنعت أنفست على ابن عمك الأمارة!

فقال: لا والله ولكني كرهت أن أنازع القوم حقـاً جعلـه الله لهـم، ولما رات الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تامير سـعد قـال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حـضير، وكـان نقيبـاً: والله لـئن وُلّيْتُهـا الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكـم معهـم فيها نصيباً أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه فانكسر علـى سعد والخزرج ما اجمعوا عليه واقبل الناس يبـايعون ابـا بكـر مـن كـل جانب ثم تحول سعد بن عبادة إلى داره فبقى أياماً وأرسل اليه أن أقبل،

فبايعه فان الناس قد بايعوا فقال: لا والله حتى ارميكم بما في كنانتي من نبلي وأخضب سنان رمحي واضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم باهل بيتي ومن اطاعني ولو اجتمع معكم الجن والانس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي، فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع فقال بشير بن سعد: إنه لج وأبى ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه اهله وطائفة من عشيرته فاتركوه ولا يضركم تركه، وانما هو رجل واحد فتركوه وجاءت اسلم فبايعت فقوي ابو بكر بهم وبايع الناس بعد.

قيل: إن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ **كرهوا ان يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة** قال الزهري: بقي علي، وبنو هاشم والزبير ستة اشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة ؓ بايعوه فلما كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه الناس بيعة عامة، ثم تكلم فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: ((أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم فإن احسنت فأعينوني، وإن اسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى، لا يدع احد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل اطيعوني ما اطعت الله ورسوله، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله)).

(اسيد بن حضير) بضم الهمزة بالحاء المهملة المضمومة وبالضاد المعجمة واخره راء.

(الكامل ابن الاثير- ج2 ص191).

بين بني هاشم وقريش:

أشهر الروايات في تخلف على وبني هاشم وأكثرها ذيوعاً ما أورده ابن قتيبه في الإمامه والسياسة وما شاكله من روايات من عاصره أو تأخره عنه، وهي تجرى بأن عمر بن الخطاب ذهب في عصابة إلى بنى هاشم بعد ان تمت البيعة لابي بكر، وطلب اليهم أن يخرجوا فيبايعوا كما بايع الناس وكان بنو هاشم في بيت علي، وقد أبوا وأبى من كان معهم ان يجيبوا دعوة عمر، بل خرج الزبير بن العوام إلى عمر واصحابه بالسيف فقال عمر لاصحابه: عليكم بالرجل فخذوه فاخذوا السيف من يده فانطلق فبايع. وقيل لعلى بن ابى طالب: بايع أبا بكر، فقال: ((لا أبايعكم وأنا احق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لى. **اخذتم هذا الأمر من الانصار واحتججتم بالقرابة من النبى ﷺ وتأخذونه منا اهل البيت غصباً**، ألستم زعمتم للانصار انكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد ﷺ منكم فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة! فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فانصفونا إن كنتم تؤمنون، والا فبوؤوا بالظلم وانتم تعلمون)).

قال عمر: ((انك لست متروكاً حتى تبايع!)).

وأجاب علي في حرارة وقوة: ((احلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً. والله يا عمر لا أقبل قولك ولا ابايعه)). فخشي أبو بكر ان يبلغ الحوار بهما إلى العنف فتدخل بين الرجلين وقال: ((فان لم تبايع فلا اكرهك)).

وتوجه ابو عبيدة بن الجراح إلى علي متلطفاً فقال: ((يا ابن عم، انك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور. ولا أرى أبا بكر الا أقوى على هذا الأمر منك واشد احتمالاً واستطلاعاً، فسلم لأبي بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء فانت لهذا الأمر خليق، وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك)).

هنا ثار علي وقال: ((الله الله يا معشر المهاجرين: لا تخرجوا سلطان محمد ﷺ في العرب من داره وقمر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعوا اهله عن مقامه في الناس وحقه. **فوالله يا معشر المهاجرين لنحن احق الناس به لاننا أهل البيت نحن احق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله المضطلع بأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً**)).

وكان بشير بن سعد حاضراً هذا القول فيما يروي رواته، فلما سمعه قال: ((لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا على قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك)).

خرج علي محنقاً غاضباً فذهب إلى فاطمة فخرج بها من دارها فحملها على دابة ليلاً فاخذ يطوف بها مجلس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون: ((يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل. ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابي بكر ما عدلنا به)).

ويجيبهم علي وقد زاده هذا الجواب غضباً:

(أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه!)). وتردف فاطمه: ((ما صنع ابو الحسن الا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسبهم عليه وطالبهم)).

هذا هو المشهور عن موقف على بن أبى طالب واصحابه من بيعة ابى بكر. وينكر بعض المؤرخين هذا المشهور من تخلف بنى هاشم أو غيرهم من المهاجرين انكاراً صريحاً! ويذكرون أن أبا بكر بويع بعد السقيفة با جماع لم يتوقعه احد. روى الطبرى حديثاً باسناده ان سعيد بن زيد: سئل: اشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قيل: فمتى بويع ابو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ **كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة**. قيل: أخالف عليه أحد؟ قال لا، الا مرتد أو من قد كاد ان يرتد لولا ان الله عز وجل ينقذهم من الانصار. قيل: فهل قعد

احد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته من غير ان يدعوهم. وفي رواية أن علي بن ابى طالب كان في بيته إذ جاءه من أنباء أن أبا بكر قد جلس للبيعة، فخرج في قميص له ما عليه ازار ولا رداء عجلاً كراهية ان يبطئ عنها حتى بايعه، ثم جلس اليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه.

وتجرى بعض الروايات في أمر علي وبيعته مجرى وسطاً بين ما قدمنا من ذلك ما قيل من ان ابا بكر صعد المنبر عقب البيعة فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا به فجاء فقال له: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاء فقال له ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه.

وتذهب طائفة من الروايات إلى ان بنى أمية هم الذين ارادوا ان يثيروا الثائرة بين بنى هاشم وابى بكر. قيل لما اجتمع الناس على بيعة ابى بكر أقبل **ابو سفيان** وهو يقول: والله انى لارى عجاجة لا يطفئها الا دم. **يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟! أين المستضعفان! أين الاذلان علي والعباس!** وانشد يتمثل:

ولا يقيم على ضيم يراد به   الا الاذلان غير الحى والوتد

هذا عليّ الخسف محبوس برمته　　وذا يشجع فلا يبكي له أحد

على ان الروايات التى ذكرت هذا الحديث لأبى سفيان تكاد تجمع على أن علياً أبى أن يتابعه, وأنه قال له: ((إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة. وانك والله طالما بغيت الاسلام شراً))، أو قال له ((يا ابا سفيان، طالما عاديت الاسلام واهله فلم تضره بذاك شيئاً. اني وجدت ابا بكر لها اهلاً)).

(محمد حسين هيكل – الصديق ابو بكر ص64)

العباس

كان بين العباس بن عبد المطلب وعلى بن ابي طالب مباعدة فلقي ابن عباس عليا، فقال: ان كان لك في النظر إلى عمك حاجة فاته وما اراك تلقاه بعدها. فقال علي: تقدمنى واستأذن فتقدم ابن عباس واستأذن لعلي فاذن له ودخل فاعتنق كل واحد منهما صاحبه واقبل علي على العباس ورجله يقبلهما ويقول: يا عم؛ ارض عنى – رضي الله عنه – قال: قد رضيت عنك ثم قال: يا بن اخي؛ قد اشرت عليك باشياء ثلاثة فلم تقبل ورايت في عاقبتها ما كرهت، وهانذا أشير عليك برأي رابع فان قبلته والا نالك ما نالك مما كان قبله. قال: وما ذاك يا عم؟ قال: أشرت عليك في مرض رسول الله ﷺ <u>ان تسأله</u> فان كان الأمر

فينا اعطاناه وان كان في غيرنا أوصى بنا فقلت: اخشى إن منعناه لا يعطيناه أحد فمضت تلك!

فلما قبض رسول الله ﷺ اتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى ان نبايعك، وقلت: ابسط يديك ابايعك ويبايعك هذا الشيخ فإنا **إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد مناف، واذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي واذا بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب**. فقلت: لنا بجهاز رسول الله ﷺ شغل وهذا الأمر لا يخشى تعجليه فلم نلبث ان سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة فقلت يا عم: ما هذا؟ قلت: ما دعوناك اليه! فابيت وقلت: سبحان الله! أو يكون هذا؟ قلت: نعم، قلت افلا يرد؟ قلت لك: وهل رد مثل هذا قط؟

ثم اشرت عليك حين طعن عمر فقلت: لا تدخل نفسك في الشورى فانك إن أعزلتهم قدموك، وإن سأويتهم تقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت.

ثم أنا الآن اشير عليك برأي رابع فان قبلته والا نالك ما نالك مما كان قبله: انى ارى ان هذا الرجل - يعنى عثمان - قد أخذ في أمور الله؛ وكأني بالعرب قد سارت اليه حتى ينحر في بيته كما ينحر الجمل والله إن كان ذلك وانت بالمدينة لزمك الناس به، فاذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئاً الا من بعد شر لا خير معه.

قال ابن عباس: فلما كان يوم الجمل عرضت لعلي وقد قتل طلحة وقد اكثر اهل الكوفة في سبه وغمصه، فقال على: أما والله لئن قالوا ذلك لقد كان كما قال:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

ثم قال: لكان عمي ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، والله ما نلت من هذا الأمر شيئاً الا بعد شر لا خير معه!

(قصص العرب/ 25-26)

استطراد

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدي البغدادي: سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد بن بشر المروذى ببغداد، فتصرف في الحديث كل متصرف، وكان غزير الرواية، لطيف الدراية، فجرى حديث السقيفة، فركب كلّ مركب، وقال قولاً، وعرض بشيء، ونزع إلى فن.

فقال: هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق ﷺ، إلى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، وجواب علي عنها، ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة؟ فقال الجماعة: لا والله، فقال هي والله من بنات الحقائق، ومُخبّآت الصنادق، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلبي في وزارته فكتبها عني بيده وقال: لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين،

وإنها لتدل على علم وحلم، وفصاحة ونباهه، وبعد غور، وشدة غوص.

فقال له العباداني: ايها القاضي، فلو أتممت المنة علينا بروايتها، أسمعناها، فنحن أوعى لك من المهلبي، وأوجب ذماماً عليك، فاندفع، وقال:

حدثنا عيسى بن دأب، قال: سمعت مولاي أبا عبيده يقول: لما استقامت الخلافة لأبي بكر ﷺ بين المهاجرين والأنصار، بعد فتنة كاد الشيطان بها، فدفع الله شرها، ويسر خيرها، بلغ أبا بكر عن علي تلكؤ وشماس وتهمم ونفاس، فكره أن يتمادى الحال فتبدو العورة، وتشتعل الجمرة، وتتفرق ذات البين، فدعاني بحضرته في خلوة – وكان عنده عمر بن الخطاب ﷺ وحده – فقال: يا ابا عبيده، ما ايمن ناصيتك، وأبين الخير بين عينيك! طالما أعز الله بك الاسلام، وأصلح شأنه على يديك، ولقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المَحوُط، والمحل المغبوط، ولقد قال فيك في يوم مشهود ((لكل أمه أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيده)) ولم تزل للدين مُلتجأ، وللمؤمنين مُرتجى، ولأهلك ركناً، ولإخوانك رِدءاً.

قد أردتك لمن خطره مَخُوف، وإصلاحه من أعظم المعروف، ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورفقك، ولم تَجُب حَيته بِرُقْيَتِك، وقع اليأس، واعضل البأس واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق، وأعسر منه

وأغلق، والله أسأل تمامه بك ونظامه على يديك، فتأتَّ له ابا عبيدة وتلطف فيه، وانصح لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ولهذه العصابه غير آلٍ جهداً، ولا قالٍ حمداً والله كالِئُك وناصرك، وهاديك ومُبصّرك إن شاء الله.

أمض إلى علي، واخفض له جناحك، واغضض عنده صوتك، واعلم أنه سلالة أبي طالب، ومكانه ممن فقدناه بالأمس - ﷺ - مكانه وقال له: البحر مغرقه، والبر مفرقه والجو أكلف، والليل أغدق، والسماء جَلْواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل عنوف عسوف، والعجب قداحه الشر، والضغن رائد البَوار، والتعريض شجار والفتنه، والقحه ثقوب العداوة، وهذا الشيطان متكيء على شماله، متحيل بيمينه، نافخ حضْنَيْهِ، ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عناداً لله عز وجل أولاً، ولآدم ثانياً، ولنبيه - ﷺ- ودينه ثالثاً، يوسوس بالفجور، ويُدَلّي بالغرور، ويمني أهل الشرور، يوحي إلى أوليائه زخرف القول غروراً بالباطل، دأبا له منذ كان على عهد أبينا أدم، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر، لا منجي منه إلا بعضٌ الناجذ على الحق، وغض الطرف عن الباطل، ووطء هامة عدو الله بالأشد فالأشد، والآكد فالآكد، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه.

ولا بد الآن من قول ينفع إذ قد أضر السكوت، وخيف غِيُّه، ولقد أرشدك من أفاء ضالتك، وصافاك من أحيا مودته بعتابك، وأراد لك الخير من آثر البقاء معك.

ما هذا الذي تسول لك نفسك؟ ويُدَوِّي به قلبك، ويلتوي عليه رأيك، ويتخاوص دونه طرفك، ويسري فيه؟ ظَعْنُك، ويتراد معه نفسك، وتكثر معه صعداؤك، ولا يفض به لسانك؟ أعُجمه بعد إفصاح! أتلبيس بعد ايضاح؟ أدين غير دين الله؟ أخلق غير خلق القرآن؟ اهدي غير هدي النبي ﷺ! أمثلي تمشي له الضَرَّاء، وتدِبُّ له الخَمَر! أم مثلك ينفبض عليه الفضاء، ويكسف في عينه القمر؟ ما هذه القعقعه بالشنان وما هذه الوعْوَعه باللسان!

انك والله جد عارف باستجابتنا لله عز وجل، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كِنِّ الصبا، وخِدْر الغَراره، وعنفوان الشبيبة، غافل عما يشيب ويريب، لا تعي ما يراد ويشاد، ولا تحصل ما يساق ويقاد سوى ما انت جار عليه إلى غايتك التي إليها عُدِل بك، وعندها حُطَّ رَحْلُك، غير مجهول القدر، ولا مجحود الفضل، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالاً تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالاً وتشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيارها نتجرع صابها، ونشْرجُ عِيابَها، ونُحْكِم أساسها، ونبرم امراسها، والعيون تحدج بالحسد، والأنوف تعطس بالكبر، والصدر تستعر بالغيظ، والأعناق تتطاول بالفخر، والشِّفار

تشحذ بالمكر، والأرض تميد بالخوف، لا ننتظر عند المساء صباحاً، ولا عند الصباح مساءً، ولا نَدفع في نحر أمر الإ بعد أن نَحْسُوَ الموت دونه، ولا نبلغ مراداً الإ بعد الإياس من الحياة عنده، فادينَ في جميع ذلك رسول الله ﷺ بالأب والأم، والخال والعم، والمال والنشب، والسَّبد واللَّبد، والهِلَّه والبِلَّة، بطيب أنفس، وقرة أعين، ورُحْبِ أعطانٍ، وثبات عزائم، وصحة عقل، وطلاقة أوجه، وذلاقة ألسن.

هذا مع خَفِيّات أسرار، ومكنونات أخبار، كفت عنها غافلاً، ولولا سنك لم تكن عن شيء منها ناكِلاً، وكيف وفؤادك مشهوم، وعودك معجوم! والآن قد بلغ الله بك، وأنهض الخير لك، وجعل مرادك بين يديك، وعن علم أقول ما تسمع، فارتقبْ زمانك، وقلّص أردانك، ودع التعسس والتجسس لمن لا يَظْلَعُ لك إذا خطا، ولا يتزحزح عنك إذا عطا، فالأمر غضّ والنفوس فيها مضّ وانك أديم هذه الأمة، فلا تحلم لجاجاً، وسيفها العضْب، فلا تَنْبُ اعوِجاجاً، وماؤها العذب، فلا تحُلْ أُجاجاً.

والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر، فقال لي: يا أبا بكر، هو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه، ولمن يتضاءل عنه لا لمن يَتَنَفَّجُ إليه، هو لمن يقال هو لك، لا لمن يقول هو لي.

ولقد شاورني رسول الله ﷺ في الصِّهر، فذكر فتياناً من قريش، فقلت: أين انت من علي! فقال ﷺ: إني أكره لفاطمة ميعة شبابه،

وحداثة سنه. فقلت له: متى كنفته يدك، ورعته عينك، حفت بهما البركة، وأُسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خاطبته به، رغبة فيك، وما كنت عرفت منك في ذبك لا حوجاء ولا لوجاء فقلت ما قلت وأنا أرى مكاناً غيرك، وأجِد رائحة سواك، وكنت إذ ذاك خيراً لك منك الآن لي.

ولئن كان عرض بك رسول الله ﷺ في هذا الأمر، فلم يكن مُعرِضاً عن غيرك، وإن كان قال فيك فما سكت عن سؤال، وإن تَلَجْلَجَ في نفسك شيء فهلُمَّ، فالحكم مرضيٌّ، والصواب مسموع، والحق مطاع.

ولقد نقل رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل، وهو عن العصابة راض، وعليها حَدِب، يسره ما سرها، ويسوءه ما ساءها ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها.

أما تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه واقاربه وسُجَرائه، إلا أَبانَه بفضيلة، وخصه بمزية، وأفراده بحاله، لو أصفقت الأمه عليه لأَجْلِها لكان عنده ايالتها وكفالتها. أتظن أنه ﷺ ترك الأمة سدداً بدداً، عباهل مباهل، طلاحي مفتونة بالباطل، معنونة عن الحق، لا رائد ولا زائد، ولا ضابط ولا حائط، ولا ساقي ولا واقي، ولا هادي ولا حادي! كلا! والله ما اشتاق إلى ربه، ولا سأله المصير إلى رضوانه وقربه، إلا بعد أن ضرب المدى، وأوضح الهدى، وأبان الصُّوى، وأمن المسالك

والمطارح، وسهل المبارك والمهايع، وإلا بعد أن شَدَخَ يا فوخ الشرك بإذن الله، وشرم وجه النفاق لوجه الله، وجدع أنف الفتنة في ذات الله، وتفل في عين الشيطان بعون الله وصدع بملء فيه وبيده بأمر الله عز وجل.

وبعد فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك، ومعك في بقعة واحدة، ودار مجتمعة، إن استقالوني لك، وأشاروا عندي بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك.

وإن تكن الأُخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والفاتح لمغالقهم، والمرشد لضالتهم، والرادع لغوايتهم، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، والتناصر على الحق، ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقى الله بقلوب سليمة من الضّغن. وبعد فالناس ثمامة فارفق بهم، واحْنُ عليهم، ولِنْ لهم، ولا تشق نفسك بنا خاصة منهم، واترك ناجم الحقد حصيداً، وطائر الشر واقعاً، وباب الفتنه مغلقاً، فلا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تعنيف، والله على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير.

قال أبو عبيدة: فلما تأهبت للنهوض قال عمر ﷺ: كن لدى الباب هنيهة، فلي معك دور من القول، فوقفت وما أدري ما كان بعدي، إلا أنه لحقني بوجه يبدي تهللاً، وقال لي: قل لعلي: الرقاد محلمة، والهوى مقحمة، وما منا الإ له مقام معلوم، وحق مشاع أو

مقسوم، ونبأ ظاهر أو مكتوم؛ وان أكيَسَ الكيْسِ من منح الشارد تألُّفاً، وقرب البعيد تلطفاً، ووزن كل شيءٍ بميزانه, ولم يخلط خبره بعيانه, ولم يجعل فِتْرَهُ شِبرَه, ديناً كان أو ديناً؛ ضلالاً كان أوهدى.

ولا خير في علم مستعمل في جهل، ولا خير في معرفه مشوبة بنكر ولسنا كجلدة رُفْغِ البعير بين العجان والذّنب. وكل صالٍ فبناره؛ وكل سيل فإلى قراره. وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لِعِيٍّ، ولا كلامها اليوم لِفَرق أو رفق. وقد جدع الله بمحمد ﷺ أنف كل ذي كبر، وقصم ظهر كل جبار؛ وقطع لسان كل كذوب، فماذا بعد الحق إلا الضلال! ما هذه الخُنْزُوَانة التي في فراش رأسك! ما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك! ما هذه القذاة التي أعشت ناظرك! وما هذه الوَحرَةُ التي أكلت شراسيفك! وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر، واشتملت عليه بالشحناء والنكر!

ولسنا في كسرويه كسرى، ولا في قيصرية قيصر! تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر، وقد جعلهم الله جَزَراً لسيوفنا، ودريئةً لرماحنا، ومرمى لطعاننا، وتبعا لسلطاننا؛ بل نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وثمرة حكمه، وأثرة رحمه، وعنوان نعمه، وظلّ عصمة، بين أمة مهدية بالحق والصدق، مأمونة على الرتق والفتق، لها من الله قلب أبي، وساعد قوي، ويد ناصرة، وعين ناظرة.

اتظن ظناً يا علي أن أبا بكر وثب على هذا الأمر مفتاتاً على الأمة، خادعاً لها أو متسلطاً عليها! أتراه حلَّ عقودها، وأحال عقولها! أتراه جعل نهارها ليلاً، ووزنها كيلاً، ويقظَتَها رُقاداً، وصلاحها فساداً! لا والله! سلا عنها فَوَلِهَتْ له، وتطامن لها فلصقت به، ومال عنها فمالت إليه؛ واشمأز دونها فاشتملت عليه، حَبْوَة حباه الله بها، وعاقبة بلّغه الله إليها، ونعمة سربله الله جمالها، ويد أوجب الله عليه شكرها، وأمه نظر الله به إليها، والله أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة.

وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة، ولا يجحد حقّك فيما اتاك الله؛ ولكن لك من يزاحمك بمنكبٍ أضخمُ من منكبك، وقربى أمس من قرباك، وسن أعلى من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة لها أصل في الجاهلية وفرع في الاسلام، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تُذكر فيها مقدمة ولا ساقةٍ، ولا تَضرِب فيها بذراع ولا أصبع، ولا تخرج منها ببازل ولا هبع، ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله ﷺ، وعلاقة نفسه، وعينه سره، ومفزع رايه ومشورته، وراحة كفه، ومرمق طرفه، وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار؛ شهرته مغنية عن الدليل عليه.

ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة، ولكنه أقرب منك قربة، والقرابة لحم ودم، والقربة نفس وروح.

وهذا فرق عرفه المؤمنون، ولذلك صاروا اليه أجمعون. مهما شككت في ذلك، فلا تشك في أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة.

فادخل فيما هو خير لك اليوم، وانفع لك غداً، والفظ من فيك ما يعلق بلهاتك، فإن يك في الأمد طول، وفي الأجل فسحة، فستأكله مريئاً أو من كان ايسا منك، ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك، يُمضُّ إهابك، ويعرك أديمك، ويزْرى على هديك، هنالك تقرع السنَّ من ندم، وتجرع الماء ممزوجاً بدم، وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ودارج قوتك، فتود أن لو سقيت بالكأس التي أبيتها، ورددت إلى حالتك التي استغويتها. ولله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه، وغيب هو شاهد، وعاقبة هو المرجوُّ لسرائها وضرائها، وهو الولي الحميد، الغفور الودود.

قال ابو عبيدة: فتمشيت متزملاً، أنوء كأنما أخط على رأسي، فرقاً من الفرقة، وشفقاً على الأمة حتى وصلت إلى علي ﷺ في خلاء، فابتثته بثي كله، وبرئت إليه منه، ورفقت به، فلما سمعها ووعاها، وسرت في مفاصله حمياها قال: حلت مُعْلَوِّطه، وولت مُخْرَوِّطه، وأنشأ يقول:

إحدى لياليك فهيسي هيسي لا تنعمي الليلة بالتعريس

نعـم يـا أبـا عبيـدة، أكـل هـذا في أنفـس القـوم، ويحـسون بـه، ويَضطغِنون عليه!

قال ابو عبيدة:

فقلت: لا جواب لك عندي، إنما أنا قاض حق الدين، وراتق فتـق المسلمين، وساد ثلمة الأمة، يعلم الله ذلك مـن جُلْجُـلان قلـبي وقـرارة نفسي.

فقال علي ﷺ: والله ما كان قعودي في كـسر هـذا البيـت قـصداً للخلاف، ولا إنكاراً للمعـروف، ولا زرِايـة علـى مـسلم؛ بـل لمـا قـد وقذني به رسول الله ﷺ من فراقه، وأودعني من الحزن لفقده.

وذلك أنني لم أشهد بعده مـشهداً إلا جـدد علـي حزنـاً، وذكرنـي شجناً، وإن الـشوق إلى اللحـاق بـه كـاف عـن الطمـع في غـيره، وقـد عكفت على عهد الله أنظر فيه، وأجمع ما تفرق؛ رجاء ثـواب معـد لمـن أخلص لله عمله، وأسلم لعلمه ومشيئته، وأمـره ونهيـه، علـى أنـي مـا علمت أن التظاهر على واقع، ولا عن الحق الذي سيق الي دافع.

وإذ قد أُفْعِم الوادي بي، وحشد النادي من أجلي، فلا مرحبـاً بمـا ساء أحداً من المـسلمين وسـرني. وفي الـنفس كـلام لـولا سـابق عقـد وسالف عهـد، لـشفيت غيظـي بِخِنـصَري وبنـصَري؛ وخـضنت لجتـه بأخمصي ومفرقي، ولكني ملجم إلى أن القي الله ربي، وعنده أحتسب ما

نزل بي. وإني غـاد إلى جماعتكم، فمبـايع صـاحبكم، صـابر علـى مـا ساءني وسرّكم، ليقضي الله أمرا كان مفعولاً.

قال أبو عبيدة: فعدت إلى ابي بكـر ﷺ، فقصـصت عليـه القـول على غَرِّه، ولم أختزل شيئاً من حلوه ومره؛ وبكرت غـدوةً إلى المسجد، فلما كان صباح يومئذ إذا علي يخترق الجماعة إلى ابى بكر ﷺ، فبايعه، وقال خيراً، ووصف جميلاً، وجلـس زميتـاً، واسـتأذن للقيـام، فمـضى وتبعه عمر مكرماً له، مستثيراً لما عنده.

وقام أبو بكر إليه فأخذني بيده وقال: إن عصابة أنت منهـا يـا أبـا الحسن لمعصومة، وإن أمة أنت فيهـا لمرحومـة، ولقـد اصـبحت عزيـزاً علينا، كريماً لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجـوه إذا رضـيت، ولـولا أني شدهت لما أجبت إلى ما دعيت اليه، ولكني خفت الفرقة، واستئثار الأنصار بالأمر على قريش وأعجلت عن حضورك ومـشاورتك، ولـو كنت حاضراً لبايعتك ولم أعدل بك، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به، وما أسد من ينظر الله إإليه بالكفايـه؛ وإنـا اليـك لمحتـاجون، وبفضلك عالمون، وإلى رأيك وهديك في جميع الأحوال راغبون، وعلـى حمايتك وحفيظتك معولون. ثم انصرف وتركه مع عمر؛ فالتفـت علـي إلى عمر فقال: والله ما قعدت عن صاحبكم كارها، ولا آتيته فرقاً، ولا أقول ما أقول تعلة.

وإني لأعرف منتهى طرفي، ومحط قدمي ومنزع قوسي، وموقع سهمي ولكن قد أزَمْتُ على فأسي؛ ثقه بربي في الدنيا والآخرة.

فقال له عمر ﷺ: كفكف غَرْبَك، واستوقف سربك، ودع العصى بلحائها، والدلاء على رشائها، فإنا من خلفها وورائها، إن قدحنا أورينا، وإن مَتَحْناً أوريناً، وإن قرحنا أدمينا، ولقد سمت أماثيلك التي لغزت بها صادرة عن صدر أُكِل بالجوى، ولو شئتُ لقلتُ على مقالتك ما إن سمعته ندمت على ما قلت، وزعمت أنك قعدت في كن بيتك لما وقذك به رسول الله ﷺ من فقده، فهو وقذك ولم يقذ غيرك! بل مصابنا أعظم واعم من ذلك، وإن من حق مصابه ألا تصدَعَ شمل الجماعة بفرقة لا عصام لها، ولا يُؤمَن كيد الشيطان في بقائها، **هذه العرب حولنا، والله لو تداعت علينا في صبح نهار لم نلتق في مسائه.**

وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره! فمن علأمه الشوق اليه نصره دينه، ومؤازرة أوليائه، ومعاونتهم.

وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه؛ فمن العكوف على عهد الله االنصيحة لعباد الله، والرأفة على خلق الله، وبذل ما يصلحون به ويرشدون عليه.

وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك، **اي حق لُطَّ دونك!** قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سراً وجهراً، وتقلبت عليه بطنا وظهراً، فهل ذكرتك أوأشدت بك، أو وجدت رضاهم عنك؟ هل

قال أحد منهم بلسانه: أنك تصلح لهذا الأمر، أو أوما بعينه، أوهم في نفسه؟ اتظن أن الناس ضلوا من أجلك، وعادوا كفاراً زهداً فيك، وباعوا الله تحاملاً عليك؟ لا والله! لقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه، ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا: إن عليا ينتظر الإمامة ويزعم أنه أولى بها من غيره، وينكر على من يعقد لخلافه؛ فأنكرت عليهم، ورددت القول في نحرهم حيث قالوا: إنه ينتظر الوحي، ويتوكف مناجاة الملك.

فقلت: ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد ﷺ، أكان الأمر معقوداً بأنشوطة، أو مشدوداً بأطراف ليطه؟ كلا! والله لا عجماء بحمد الله إلا أفصحت، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت.

ومن أعجب شأنك قولك: ((ولولا سالف عهد وسابق عقد، لشفيت غيظي))! وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أو بلسان؟ تلك جاهلية، وقد استأصل الله شافتها، واقتلع جرثومتها، وهوَّر ليلها، وغور سيلها، وأبدل منها الرّوْحَ والريحان، والهدى والبرهان. وزعمت أنك مُلْجَمٌ؛ ولعمري إنّ من اتقى الله، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه، وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراه.

وأما قولك. إني لأعرف منزع قوسي، فاذا عرفت منزع قوسك عرف غيرك مضرب سيفه ومطعن رمحه؛ **وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول الله لك فتخلفت إعذارا إلى الله وإلى العارفة به من**

المسلمين، فلو عرفه المسلمون لجنحوا إليه، وأصفقوا عليه، وما كان الله ليجمعهم على العمى، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى، ولو كان لرسول الله فيك رأي، وعليك عزم، ثم بعثه الله، فرأى اجتماع أمته علي ابي بكر لما سفه آراءهم، ولا ضلل أحلامهم، ولا آثرك عليهم، ولا أرضاك بسخطهم، ولأمرك باتباعهم والنزول معهم فيما ارتضوه لدينهم.

فقال علي ﷺ: مهلاً يا أبا حفص، والله ما يذلت ما بذلت وأنا أريد نكثه، ولا أقررت ما اقررت وأنا أبتغي حِوَلاً عنه: وإن أخسر الناس صفقه عند الله من آثر النفاق، واحتضن الشقاق، وفي الله خلف من كل فائت، وعوض من كل ذاهب، وسلوة عن كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث.

ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك ناقع القلب مبرود الغليل، فسيح اللبان، فصيح اللسان؛ فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر، ويحط الوزر، ويصع الإصر، ويجمع الألفه بمشيئة الله وحسن توفيقه.

قال أبو عبيدة: فانصرف علي وعمر ﷺ، وهذا أصعب ما مر علي بعد رسول الله ﷺ.

قد لا يكون هذا النص بالغ الدقة ولكني آثرت إيراده؛ لانه يلقي الضوء على ما قد يكون في دواخل اربعة من عظماء الأمة واهم رجالاتها ابو بكر مؤسس الدولة

عمر مطورها وواضع نظمها وسياج وحدتها وغلق فتنتها

أبو عبيدة أمين الأمة وضميرها

الإمام علي بطل الأمة وفارسها وعالمها

ما يلفت النظر في هذة القصة هو مدى الاحترام الذي يكنه كل للاخر ومدى الحرص على وحدة الأمة كما انه يعكس جملة من المفاهيم المهمة , فقد رأى ابو بكر ان الراي راي الأمة وأنه سيلتزم بما يقرره المهاجون والانصار "**وبعد فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك، ومعك في بقعة واحدة، ودار مجتمعة، إن استقالوني لك، وأشاروا عندي بك، فأنا واضع يدي في يدك وصائر إلى رايهم فيك. وإن تكن الأُخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون**"

أما عمر فلم ير حقاً في الحكم تفرضه القرابة، "**أي حق لُطٌ دونك!**" بل إنه فرق بين القربة والقرابة جاعلاً الأفضلية للأولى "**والقرابة لحم ودم، والقربة نفس وروح**" كما أن في خلفية موقفه كانت الخشية من التفرق وارتداد الأعراب "**هذه العرب حولنا، والله لو تداعت علينا في صبح نهار لم نلتق في مسائه**".

يلاحظ ايضاً ان الحوار بين ابو بكر وعلي يختلف عن الحوار بين عمر وعلي الذي يتسم ببعض الحدة وربما التهديدات المبطنة المتبادلة , ابو بكر رضي الله عنه كان هو الاقدر دوماً على استيعاب الجميع وتقدير الأمور وصاحب الرؤية الأوسع مدى والأعمق غوراً والأبعد نظراً , هو

الاعرف بالرجال والناس ولا عجب فهو متولي الديات في الجاهلية والعارف بانساب الناس وقدراتها ومحدوديتها وهو الرجل الرقيق المظهر القوي الشكيمة وصاحب العزيمة التي لا تلين وهو اطيب الناس ومع ذلك أحوطهم واعظمهم تدبيراً, لم يخسر العرب معركة تحت قيادته ولم يخطيء في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب ولعل جملة مواقفه القوية قد حفظت الاسلام والعرب، ولعبت الدور الأكبر في بناء دولتهم وانطلاق رسالتهم وهي في بواكيرها فهو أول من أمن وصدق ولا ينسى موقفه يوم الاسراء والمعراج، وهو ثاني اثنين في الغار في الهجرة وهو من قال من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات ولم يهزه الحدث الجلل، وهو من قال والله لو منعوا عني عقال ناقة... لحاربتهم وهو الذي باشر الفتوحات.

وحين توفي أبو بكر نعاه الإمام علي بحرقة فقد عرف قدره في كافة المشاهد والمواقف

الإمام علي ينعى أبا بكر

((رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم اسلاماً، وأخلصهم ايمانًا، وأشدهم يقينًا، وأعظمهم غناءً، وأحفظهم على الرسول ﷺ، وأنسبهم برسول الله خلقًا وفضلاً وهديًا وسمتًا، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً. صدّقت رسول الله حين كذّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله فى كتابه

صـــــديقاً، ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الزمر:٣٣)، يريد محمداً ﷺ ويريدك. وكنت والله للإسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف، كنت – كما قال رسول الله ﷺ – ضعيفاً فى بدنك، قويًا فى أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك)).

السقيفة لماذا وكيف؟

لماذا

لو أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة لأي كان لما حدثت السقيفة ولما حدث كل هذا النقاش وربما الصراع إذ سيكون الأمر واضحاً وقاطعاً لا يقبل تفسيراً أو تأويلاً إلا أن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك حيث لا يوجد نص صريح أو قاطع بذلك وانما هناك تأويلات وتفسيرات لجملة من النصوص والمواقف، وأنا أعتقد ان الرسول ﷺ لم يفته التصريح القاطع بهذا الأمر، وانما كان ذلك أمراً متعمداً منه، حيث إن أي تصريح أو تسمية للخليفة من بعده سيضفي على المسمى هالة من القداسة يحول ويمنع الاعتراض على اي تصرف يقوم به، وهو في

واقع الحال بشر يخطئ ويصيب، ويكون بحاجة لمن يصوب ويحاسب، الأمر الذي لن يحدث لمن يسمى من قبل الرسول ﷺ عملاً بالاية الكريمة: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ۝٥٩﴾ (النساء:٥٩)، ولا شك أن هذا يؤكد أن أولي الأمر هم من ولاّهم الرسول ﷺ وليسوا أيا كان من الحكام الذين تكون طاعتهم على الاشتراط لا الاطلاق.

ولعلنا لا نسقط مغزى ان الرسول ﷺ كان قد وضع قبيل وفاته جل الصحابة والسابقين واصحاب الشوكة في جيش تحت أمرة الشاب أسامة.

الرسالة في عدم تسمية خليفة واضحة فالأمر دنيوي ويخضع للتوافق على اختيار الاصلح وليس دينياً أو الهياً يسميه أو يستخلفه الرسول ﷺ وعلى ذلك كانت السقيفة، واعتقاد كل طرف بأحقيته حسب مسوغات كثيرة ليس فيها ما يخرج من ايمان أو يدخل في كفر فالنبرة الدنيوية وليست الدينية هي ما غلب على حديث الجميع في السقيفة.

كيف؟

اذا حاولنا فهم ما جرى في السقيفة لاحظنا قضية إجماع وقضية خلاف

أما الإجماع فهو إقرار الجميع بضرورة أن يقوم أحد لهذا الأمر اي أن يكون هناك حاكم فقد **"كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة"**

وأما الخلاف يقع حول من يكون هذا الحاكم ولمن الحق بذلك

للأنصار بحجة النصرة والقوة والأرض

"استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دونهم"......... "فدانت لرسوله بأسيافكم العرب"......... "فان الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم".

أم

للمهاجرين (قريش) بحجة السبق وأيضاً بحجة القرابة والعصبية

فهم أول من عبد الله في هذه الارض وآمن بالله وبالرسول ﷺ وهم أولياؤه وعشيرته واحق الناس بهذا الأمر من بعده.......... فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

ترجح كفة قريش.. ولكن إذا كان للعصبية من قول فلماذا لا يكون الأمر لبني هاشم "عشيرتك المقربين" وتحديداً لعلي ابن العم وزوج الابنة الوحيدة وصاحب الذرية الوحيدة...وهنا يبرز الخلاف الثاني وهذه المرة داخل قريش وداخل المهاجرين، وتحديداً بين علي وأبي بكر إذ لم يبايع علي محتجاً بآل البيت وصلة القرابة **"اخذتم هذا الأمر من**

الانصار واحتججتم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا اهل البيت غصباً

..هذا الاحتجاج الذي سيتطور على مر الأيام والسنين ليكون أساس انقسام العالم الاسلامي إلى سنة وشيعة وحتى اليوم. لحسم هذا الخلاف يعود عمر وأبو بكر لفكرة السبق والصحبة والقرابة الروحية "أنت أكثر قرابة وأبو بكر أكثر قرباً.. القرابة لحم ودم والقرب روح"

يحسم الأمر لأبي بكر على ثلاث قواعد:

1- الأمر لقريش

2- السبق

3- بيعة الناس

أما الأولى فستحمل في طياتها الخلاف الكبير لماذا قريش ومن قريش؟ اي عشير وعلى اي أساس وستشهد الأيام والسنوات القادمة الكثير من الحروب والقتل بين القرشيين أنفسهم, وبين القرشيين وبقية العرب وبين مجمل قبائل العرب وذلك على مذبح الخلافة أو الملك... أو بشكل أدق السلطة. حيث سيرتفع بعض الفقهاء بفكرة قرشية الحاكم إلى مستوى الركن الشرعي في حين سيبقيها البعض في اطار العصبة والشوكة كما سينكرها البعض الأخر وقد استمر الحكم

للقرشيين فعلاً ثم استمر إلى ان اعتبر سلاطين بني عثمان انفسهم خلفاء.

أما الثانية "السبق" فسيتضاءل أثرها مع مرور الزمن ووفاة جيل السابقين لتخلي موقعها للعصبية وفي هذا يقول ابن خلدون" **فلما انحصر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بفناء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلاً قليلاً وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان. فاعتبر أمر العصبية ومجاري العوائد فيما ينشأ عنها من المصالح والمفاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بهما مهماً من المهمات الأكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من قبل"**.

أما الثالثة فسيكون فيها قولان و ترغيب وترهيب ومناورة وإكراه.

وفي معنى البيعة وتطورها يقول ابن خلدون" اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره. وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تأكيداً للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالايدي. هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء. ومنه ايمان البيعة. كان الخلفاء يستحلفون على العهد

ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة **وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب**. ولهذا لما أفتى مالك ﷺ بسقوط يمين الإكراه أنكرها الولاة عليه ورأوها قادحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الإمام ﷺ".

لم يَدّع أي من الفريقين المهاجرين والأنصار أو أي من الشخصيات ان ما يقوله هو من أصول الدين، وان هذا الخلاف له علاقة بالكفر والايمان لم يضف اي من الفرقاء على حجته طابع القداسة أو الأمر الإلهي, فعلى مايبدو كانت مسالة ايمان الطرفين محسومة وليست موضع نقاش كما ان الموقف من قضية الحكم لم ينظر له على أنه من مكونات الايمان، أو الاسلام على العكس من الموقف من الزكاة مثلاً كما تجلى ذلك في حروب الردة, الحوار كان حواراً سياسياً بأمتياز يستند إلى القوة والسبق في الاسلام وليس إلى الكفر والايمان، لم يحاول اي طرف ان يحتكر الاسلام، أو يتهم الآخر بالكفر فالخلاف كان دنيوياً وسياسياً فقط.

حتى بنو هاشم, لم يسوغ اي منهم بمن فيهم الإمام علي مطالبته بالحكم بخلاف ديني وانما كان التأكيد دوماً على صلة القربى بالرسول ﷺ وانهم أولى بالأمر بحكم القرابة.

وهنا لا بد من وقفة تجاه موضوع الإمامة واختيار الإمام كما تجلى فيما بعد في الفكر الشيعي بان اختيار الإمام وتكليفه هو تكليف الهي,

فأنا أرى أن الإمام علي كرم الله وجهه لم ينظر إلى الأمر على هذا النحو, اذ لو كان الأمر تكليفاً الهياً أو ركناً من اركان الاسلام والايمان لا يعقل ان يتنازل عنه الإمام ثلاث مرات، ويبايع أبا بكر وبعده عمر وبعده عثمان، ولا يمكن أن يكون قد تنازل عن هذا الأمر رهبة أو طوعاً لو انه كان يراه ربانياً وهو المعروف عنه الشجاعة وعدم الخوف أو الخضوع للاكراه والتشدد في أمور الدين.

انما على الاغلب ان يكون الإمام قد رأى انه احق من ابي بكر ومن عمر ومن عثمان وهو أمر يراه الكثير من الناس، إلا أنه ورغم ذلك لم يجده سبباً كافياً لحمل السلاح وتنازل عنه سياسياً ثلاث مرات أما حين صار الأمر خروجاً على الجماعة كما كان مع أصحاب الجمل وصفين والنهروان لم يجد بدا من محاربتهم، وعلى ما يبدو فان وحدة الأمة وكلمتها هو الهدف الاسمى لدى الإمام علي تنازل عن حقه بالخلافة ووضع السيف جانباً، حفاظاً عليه مع ابي بكر وعمر وعثمان ﷺ وتمسك بالخلافة ورفع السيف عالياً لأجله لاحقاً.

خلافة أبي بكر رضي الله عنه

...... وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس, إنما أنا مثلكم, وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق, **ان الله اصطفى محمداً ﷺ على العالمين وعصمه من الآفات**, وإنما أنا متبع ولست بمبتدع, فان استقمت فتابعوني وان زغت فقوموني............

اعتبروا عباد الله بمن مات منكم, وتفكروا فيمن كان قبلكم. أين كانوا أمس, وأين هم اليوم! أين الجبارون! وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب! قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميماً.....**وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها, قد بعدوا ونسي ذكرهم, وصاروا لا شيء.**

(الطبري ج3 ص266).

خطبته بعد البيعة

حمد الله واثنى عليه ثم قال:

(أيها الناس: اني قد وليت عليكم **ولست بخيركم** فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني **وأطيعوني ما أطعت الله فيكم، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم**، إلا أن اقواكم

عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، واضعفكم عندي القوي حتى اخـذ الحق منه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم))

(أميل ناصيف ص47).

حروب الردة

قد تقـدَّم أنَّ رسـول الله ﷺ لَّما تـوفِّي ارتـدَّت أحيـاء كـثيرة مـن الأعراب، ونجم النِّفاق بالمدينة، وانحاز إلى مسيلمة الكـذَّاب بنـو حنيفـة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنـو أسـد، وطـيء، وبشر كثير أيضاً.

وادَّعى النُّبُّوة ايضاً كما ادَّعاها مسيلمة الكـذَّاب وعظـم الخطـب، واشتدَّت الحال، ونفذ الصِّديق جيش أسامة فقـلَّ الجنـد عنـد الـصِّديق فطمعت كثير من الأعراب في المدينة، وراموا أن يهجموا عليهـا فجعـل الصِّديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها، فمـن أمـراء الحرس عليٌّ بن أبي طالب، والزُّبير بن العـوَّام، وطلحـة بـن عبـد الله، وسعد بن أبي وقَّاص، وعبد الرَّحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود.

وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرُّون بالصَّلاة، ويمتنعـون مـن أداء الزَّكاة، ومنهم من أمتنع من دفعها إلى الصِّديق، وذكر أنَّ منهم مـن احتج بقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٣).

قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ إذْ كانَ بيننَا فَواعجَباً ما بالُ مُلْكِ أَبي بَكْرِ

وقد تكلّم الصّحابة مع الصّديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزّكاة ويتألّفهم حتّى يتمكّن الايمان في قلوبهم، ثمّ هم بعد ذلك يزكّون فامتنع الصّديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أنّ عمر بن الخطّاب قال لأبي بكر: علام تقاتل النّاس وقد قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها)).

فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً، وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنّهم على منعها، إنّ الزّكاة حقُّ المال، والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصّلاة والزّكاة.

قال عمر: فما هو إلا أن رايت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنّه الحقّ.

قلت: وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۝٥ ﴾ (التّوبة: 5).

وثبت في الصَّحيحين: ((بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ، وإقام الصَّلاة، وايتاء الزَّكاة، وحجُّ البيت، وصوم رمضان)).

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة ابن سوار، ثنا عيسى بن يزيد المدينيّ، حدَّثني صالح بن كيسان قال: لمَّا كانت الرِّدَّة قام أبو بكر في النَّاس فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إنَّ الله بعث محمَّد ﷺ والعلم شريد، والاسلام غريب طريد، قد رثَّ حبله، وخلق عهده، وضلَّ أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشرٍّ عندهم، قد غيَّروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنَّهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشاً، وأضلَّهم ديناً في ظلف من الأرض مع ما فيه من السَّحاب، فختمهم الله بمحمَّد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتَّبعهم، ونصرهم على غيرهم حتَّى قبض الله نبيَّه ﷺ فركب منهم الشَّيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم وبغى هلكتهم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (آل عمران: 144).

إنَّ من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ولم يكونوا في دينهم، وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم

أقوى منكم يومكم هذا على ما قد تقدَّم من بركة نبيِّكم ﷺ وقد وكُلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (آل عمران:103).

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل منَّا شهيداً من أهل الجنَّة، ويبقى من بقي منها خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: ٥٥). ثمَّ نزل.

وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة: ٥٤)، قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه في قتالهم المرتدِّين ومانعي الزَّكاة.

وقال محمَّد بن إسحاق: ارتدَّت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة.

وارتدَّت أسد، وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن.

وارتدَّت كندة ومن يليها وعليهم الأشعث بن قيس الكندي.

وارتدَّت مذحج ومن يليها وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن.

وارتدَّت ربيعة مع المعرور ابن النُّعمان بن المنذر.

وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذَّاب.

وارتدَّت سليم مع الفجأة واسمه أنس بن عبد ياليل.

وارتدَّت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.

وقال القاسم بن محمَّد: اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الأسدي، وبعثوا وفوداً إلى المدينة، فنزلوا على وجوه النَّاس فأنزلوهم إلا العبَّاس، فحملوا بهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصَّلاة ولا يؤتوا الزَّكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحقِّ وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم، فردَّهم، فرجعوا إلى عشائرهم فأخبروهم بقلَّة أهل المدينة وطمَّعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد، وقال: إنَّ الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم

قلّة، وإنّكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، فاستعدُّوا وأعدُّوا فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارةً، وخلّفوا نصفهم بذي حسى ليكونوا ردءاً لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم أن الزموا مكانكم، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم فانفشَّ العدوّ واتّبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسي، فخرج عليهم الردء، فالتقوا مع الجمع فكان الفتح، وقد قال:

وأطَعْنَا رَسولَ اللهِ ما كانَ وَسْطَنَا	فَيالعِبادِ اللهِ مَا لأبي بكرِ
ايورِثُنَا بَكْراً إذا مَاتَ بعْدَهُ	وَتِلْكَ لَعمرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهرِ
فَهَلا رَدَدْتمْ وَفْدَنا بِزَمانِه	وَهَلا خَشِيتُمْ حسَّ راعيةَ البِكْرِ
وإنَّ التي سألوكُمو فَمَنَعتمُو	لكالتَّمرِ أوأحلى إليَّ منَ التَّمْرِ

في جمادى الآخرة ركب الصِّديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلمَّا تواجه هو وأعداؤه من بني عبس، وبني مرَّة، وذبيان، ومن ناصب معهم من بني كنانة، وأمدَّهم طليحة بابنه حبال، فلمَّا تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهي أنّهم عمدوا إلى أنحاء فنفخوها، ثمَّ أرسلوها من رؤوس

الجبال فلمَّا رأتها إبل أصحاب الصِّديق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى اللَّيل وحتى رجعت إلى المدينة، فقال في ذلك الخطيل بن أوس:

فدىً لِبني ذُبْيانَ رَحلي وَنَاقَتي ... عَشِيةَ يحدَى بالرِّماحِ أَبو بَكرِ

وَلَكنْ يُدَهْدَى بالرِّجالِ فَهَبْنَهُ ... إلى قَدَرٍ ما تقيمُ وَلا تَسرِي

وللهِ أجنادٌ تذاقُ مَذاقَهُ ... لِتُحْسَبَ فيما عُدَّ من عَجَبِ الدَّهرِ

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ ما كانَ بينَنَا ... فَيالعِبادِ اللهِ ما لأبي بَكْرِ

فلمَّا وقع ما وقع ظنَّ القوم بالمسلمين الوهن وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي أخر فاجتمعوا، وبات أبو بكر ﷺ قائماً ليله يعبِّي النَّاس، ثمَّ خرج على تعبئة من آخر اللَّيل وعلى ميمنته النُّعمان ابن مقرن، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى السَّاقة أخوهما سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حساً ولا همساً حتى وضعوا فيهم السُّيوف، فما طلعت الشَّمس حتَّى ولُّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حبال، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصَّة وكان أول الفتح، وذلَّ بها المشركون، وعزَّ بها المسلمون، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعلهم، فحلف أبو

بكر ليقتلنَّ من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، ففي ذلك يقول زياد بن حنظلة التَّميميّ:

غَـداةَ سَـعى أَبـو بكـرٍ إلـيهمُ كمَـا يَـسعَى لموتَتِـهِ حـلالُ

أَراحَ علــى نَواهِقِهَــا عَلِيَّــاً ومَــجَّ لهــنَّ مُهْجَتَــهُ حَبَــالُ

وقال ايضاً:

أَقَمْنَا لهمْ عَرضَ الـشَّمالِ فَكَبْكِبُـوا كَكَبْكَبَةِ الغُزَى أَنَـاخُوا عَلـى الـوَفْرِ

فَمَا صَبرُوا لِلْحَـرْبِ عِنْـدَ قِيامهَـا صَبيحَةَ يَسمُو بالرِّجـالِ أبـو بَكـرِ

طَرَقْنَا بـنِي عـبسٍ بـأدنى نِبَاجِهـا وَذُبيانَ نَهْنَهَنا بِقَاصِـمَةِ الظَّهـرِ

فكانت هذه الوقعة من أكبر العـون علـى نـصر الاسـلام وأهلـه، وذلك أنّه عزَّ المسلمون في كل قبيلة، وذلّ الكفّار في كل قبيلـة، ورجـع أبو بكر إلى المدينة مؤيداً منصوراً، سالماً غانماً، وطرقت المدينـة في اللَّيـل صدقات عدي بن حاتم، وصفوان، والزَّبرقـان: إحـداها في أول اللَّيـل، والثّانية في أوسطه، والثّالثة في آخره، وقدم بكل واحدة منهنّ بشير مـن أمراء الأنقاب، فكان الذي بشّر بصفوان سعد ابن أبي وقّاص، والـذي بشّر بالزّبرقان عبد الرّحمن بن عوف، والذي بشّر بعدي بـن حـاتم عبـد الله بن مسعود، ويقال: أبو قتادة الأنصاري ﷺ وذلك على رأس ستّين ليلة من متوفّى رسول الله ﷺ. ثمَّ قدم أسامة بن زيد بعـد ذلـك بليـال

فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم، ثمَّ ركب أبو بكر في الذين كانوا معه في الوقعة المتقدِّمة إلى ذي القصَّة فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً.

فقال: والله لا أفعل، ولأواسينَّكم بنفسي، فخرج في تعبئته إلى ذي حسىً، وذي القصَّة والنُّعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرِّبذة بالأبرق وهناك جماعة من بني عبس وذبيان وطائفة من بني كنانة فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً، وأخذ الحطيئة أسيراً فطارت بنو عبس، وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً، وقد غلب بني ذبيان على البلاد، وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملَّكوا هذه البلاد إذ غنَّمناها الله وحمى الأبرق بخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة، ولما فرَّت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طلحة وهو نازل على بزاخة، وقد قال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويومٌ بالأبارقِ قدْ شهدنَا ... عَلى ذُبيانَ يَلتهبُ التِهابَا

أتيناهُمْ بِداهيةٍ نَسُوفٍ ... مَعَ الصِّديقِ إذْ تَرَكَ العِتابَا

(ج/ ص: 6/ 346)

(البداية والنهاية)

يعكس النص المنقول أعلاه خطورة الأوضاع بعد تولي ابي بكر الخلافة، كما يعكس جزءاً مهماً من شخصية ابي بكر وقوته فلولا موقفه الحازم في تلك الازمة لما قام للعرب والمسلمين دولة ولظلوا على

سيرتهم الأولى قبائل متناحرة ومتصارعة حتى وان كان بعضها يدين بالاسلام, موقف ابي بكر الحازم هو الذي خلق الدولة العربية الاسلامية ورفع القبائل إلى مستوى أمة.

ويحضرني هنا النص العبقري لابن خلدون الذي يقول فيه "إنّ العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك. وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيىء لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم.

الفصل السابع والعشرون

فهل كانت ستقوم للإسلام وللعرب دولة لولا موقف ابي بكر؟

سمات حكم "أبي بكر"

من تحليل نص أبي بكر نخلص لما يلي

إن الخليفة ليس معصوماً من الآفات "إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات" كما أن الصلة المباشرة برب العباد قد انقطعت بوفاة النبي بما يعني أن لا قول أو فعل لأحد يتسم بالقداسة أو بالإطلاق.

ليس خيراً من الجميع "ولست بخيركم"

يخطىء ويصيب وللأمة الحق في التصويب عند الخطأ، "فان استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني"

يحكم بموجب قانون أساسي وهو الاسلام والطاعة لله, وهو جوهر العقد ينفذه ويبطله "أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم", **فللأمة حق شق عصا الطاعة** إذا ما أخل بالعقد.

مصدر سلطة أبي بكر هو البيعة ومصدر إدامة السلطة هو تطبيق الاسلام.

البيعة "القبول" شرط أساسي للحكم كما هو شرط العقد على ألا يخل بالقانون الأساسي وهو تنفيذ شريعة الله, الاسلام.... وهو ما سيصبح موضع اجتهاد, اتفاق وخلاف كلما تقدم الزمن واستحدثت أمور.

البيعة ليست انتخاباً بالمعنى الدقيق فهي تتم لشخص تم اختياره سلفاً كما أنها لا تتم من جميع الناس إنما من "أهل الحل والعقد" فإذا كان أهل الحل والعقد هم رؤساء العشائر والعلماء ومن اتفق الناس على أهميتهم يصبح ذلك قريباً من فكرة – البرلمان والأعيان.

لا يوجد مدى زمني للبيعة فالخليفة باق ما لم يعص الله أو يخل بعقد البيعة, من البداية, فكرة التداول ليست واردة.

لم تكن أزمة السقيفة هي الوحيدة التي واجهت أبا بكر, فلم يكد يستقر حتى خرجت عليه العديد من القبائل, مخلة بذلك بالعقد لجهة قانونه الأساسي وهو الاسلام "رفض الزكاة", مما استدعى تدخلاً سريعاً عنيفاً وحاسماً, فكانت حروب الردة التي أشبه ما تكون بالحرب الأهلية.

جوهر هذه الحروب ونتيجتها, كان بناء الدولة الاسلامية أو بمعنى أكثر تفصيلاً الدولة حارسة الاسلام، أو التي ترعى تطبيق تعاليمه, لم يصغ أبو بكر لأراء اقرب المقربين بترك الأمر وكان إصراره على دفع الزكاة والصدقات بمثابة التأكيد على وجود جهاز دنيوي يرعى الدين ولعل تكوين الدولة الاسلامية وفكرتها ومصدرها يدين في وجوده لأبي بكر.

مرحلة أبي بكر كانت مرحلة تأسيس الدولة أو السلطة الحارسة للدين, الحاكم اختير بإرادة الناس وهم مصدر سلطته إنما هدفه ليس

تنفيذ إرادة الناس، وإنما الحكم بينهم وسوسهم طبقاً للشريعة. أي أن الهدف هو تطبيق شرع الله وهذا ما رمينا إليه حينما قلنا انه يحكم بقانون أساسي, **هو ممثل للناس لتطبيق أمر الله وليس ممثلاً لله** لم تكن الدولة في عهد أبي بكر غنية أو معقدة التركيب الإداري إنما كانت في طريقها إلى ذلك فبتوحيد الجزيرة بعد حروب الردة ودخول أقاليم جديدة بعد الفتوحات تضخمت الدولة وبدأت تطرح معضلات إدارية واجتماعية واقتصادية شديدة التعقيد على أمة في طور التكوين، وليس لديها خبرات إدارية ومالية تتعدى إدارة قبيلة أو مدينة.

الاستخلاف

نقطة بالغة الأهمية في سيرة أبي بكر الصديق الذي أصر دائماً على انه متبع وليس بمبتدع خلا هذه المسألة، حيث آثر ان يسمي خليفة له ولم يترك الأمر للجماعة على سنة الرسول ﷺ الذي لم يستخلف ولعل أحداث السقيفة وحروب الردة بعدها القت بظلالها على قرار أبي بكر حيث إنه رآى في الاستخلاف درءاً للفتنة، كما انه لا يكتسب صفة القداسة كونه استخلاف بشر لبشر, خطورة الاستخلاف هو في تحوله لقاعدة تجاوزت فكرة البيعة واصبح لها السبق الزمني يستخلف الخليفة ثم يطلب البيعة لمن استخلفه، فيكون استكمالاً شكلياً لا موضوعياً ويكون استفتاء لا انتخاباً, خيار واحد أمامك أما تقبله أو ترفضه وقد تطور الأمر بعد ذلك إلى استخلاف الأبناء أي الوراثة.

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بيعة عمر

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها، وأول عهده بالآخره داخلاً فيها: **إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب** فان عدل فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه، وإن بدل وغير فالخير أردت ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. ثم ختم الكتاب ودفعه فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمر فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته، وعلمت بمواقفه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا وأنت لاق الله عز وجل فسائلك فما انت قائل؟ فقال ابو بكر: لئن سألني لأقولن: **استخلفت عليهم خيرهم في نفسي**, ثم أمر ان تجتمع له الناس فاجتمعوا فقال: ايها الناس قد حضرني من قضاء الله ما ترون **وانه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم فيأمركم** فان شئتم اجتهدت لكم رأيي ووالله الذي لا اله الا هو لا الوكم في نفسي خيراً، فبكى وبكى الناس وقالوا: يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا قال: سأجتهد لكم رايي. واختار لكم خيركم ان شاء الله: فخرجوا من عنده ثم أرسل إلى عمر فقال: يا عمر، أحبك محب وأبغضك مبغض، وقديماً يحب الشر ويبغض الخير. فقال عمر: لا حاجة لي بها فقال أبو بكر:

لكن بها إليك حاجة والله ما حبوتك بها ولكن حبوتها بـك ثـم قـال: خذ هذا الكتاب وأُخرج به إلى الناس وأخبرهم أنه عهدي وسلهم عـن سمعهم وطاعتهم. فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا: سمعاً وطاعة فقال له رجل: ما في الكتاب يا ابا حفـص؟ قـال: لا ادري ولكـني أول من سمع واطاع. قال: لكني والله ادري ما فيه: أمرته عـام أول وأمـرك العام.

(الإمامة والسياسة 22-23).

خطبة لعمر رضي الله عنه

يا أيها الناس، **إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، واقواكم عليكم، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم**، ولكفى عمر مهماً محزناً انتظار موافقـة الحساب بأخذ حقوقكم كيف اخذها، ووضعها أين أضعها، وباليسر فيكم أسير! فربي المستعان، فان عمر أصبح يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتاييده.

(الطبري ج5 ص68).

خطب عمر مرة فقال (2)

ان الله عز وجل قد ولاّني أمركم وقد علمت أنفع مـا بحـضرتكم لكم، وإني أسال الله ان يعينني وان يحرسني عنده كما حرسني عند غيره وان يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمرني به، وإني أمرؤ مسلم وعبد

ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله انما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولي اعقل الحق من نفسي واتقدم وابين لكم أمري، **فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمه أو عتب علينا في خلق فليؤذني** فانما انا رجل منكم فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم، وحرماتكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحكما إلي فانه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب الي صلاحكم، عزيز علي عنتكم، وانتم اناس عامتكم حضر في بلاد الله واهل لا زرع فيه ولا ضرع، إلا ما جاء الله به اليه، وان الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة، وانا مسؤول عن أمانتي وما انا فيه ومطلع على ما بحضرتي بنفسي ان شاء الله لا أمله إلى احد، ولا استطيع ما بعد الا بالأمناء واهل النصح منكم للعامة ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله))

(أميل ناصيف).

خطبة اخرى

وقال ابن عبد ربه: وخطب اذ ولي الخلافة: صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه، ثم قال:

((يا أيها الناس، إني داعٍ فأمّنوا, اللهم إني غليظ فليّني لاهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الاخرة، وارزقني الغلظة

والشدة على اعدائك واهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم، اللهم إني شحيح فسخّني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الاخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فالهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين، اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنه التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني التفكير والتدبير لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت، إنك على كل شيء قدير)).

(ناصيف)

رسالة عمر إلى أبي موسى الأشعري في القضاء

رواها ابن عيينه وابو بكر الهذلي ومسلمة بن محارب، رووها عن قتادة ورواها أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلي عن ابي المليح بن اسامة، أن ابن الخطاب ﷺ كتب إلى أبي موسى الأشعري:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فان القضاء فريضة محكمة، وسنه متبعة فافهم اذا ادلي اليك، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له. آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي ﷺ اعرف الأمثال والاشياء، وقس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقاً غائباً أو بينه أمداً ينتهي اليه فان احضر بينته أخذت له بحقه، والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمى، وأبلغ في العذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد أو مجرّباً عليه شهادة زور، أو ضنينا في ولاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم الشبهات ثم إياك والقلق والضجر والتأذي بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر، ويحسن بها الذخر، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما

بينه وبين الناس، ومن تزين للناس يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره، وأبدى فعله والسلام عليك.

(البيان والتبيين ص 237).

خطبة عمر رضي الله عنه

أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف

عن سعيد بن المسيب قال: لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا ايها الناس، إني علمت إنكم كنتم تؤنسون مني شدة وغلظة وذلك أني كنت مع رسول الله ﷺ، وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة: ١٢٨)، فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدني أو ينهاني عن أمر فاكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينه فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا أسعد ثم قمت ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده وكان كما قد علمتم في كرمه ودعته ولينه فكنت خادمه كالسيف بين يديه اخلط شدتي بلينه إلا أن يتقدم إلي فاكف وإلا أقدمت فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به اسعد.... ثم صار أمركم إلي اليوم وأنا اعلم فسيقول قائل:

كان يشتد علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذ صار إليه؟! واعلموا إنكم لا تسألون عني أحداً قد عرفتموني وجربتموني وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما أصبحت نادماً على شيء أكون أحب أن اسأل رسول الله ﷺ إلا وقد سألته... فاعلموا أنّ شدتي التي كنتم ترون أضعافاً إذ صار الأمر إلي على الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم واني بعد شدتي تلك واضع خدي بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم وإني لا أبي إن كان بيني وبين احد منكم شيء من إحكامكم ـ **وأن أمشي معه إلى من أحببتم منكم فلينظر فيما بيني وبينه احد منكم**.... فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفه عني **وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولانى الله من أمركم**... ثم نزل).

(كنز العمال: (14184):5/ 681-683 ورواه الحاكم مختصراً: 1/ 124).

(خطب أمير المؤمنين/ 26 محمد أحمد عاشور).

طبيعة حكم عمر

أول ما يلفت النظر في خلافة عمر أنها كانت **استخلافاً** من الخليفة السابق وليست انتخاباً من الأمة وقد جاءت البيعة لاحقة للاستخلاف لتصبح اقرب إلى الاستفتاء منها إلى الانتخابات ولربما يكون أبو بكر في هذا قد خالف سنة النبي الذي لم يستخلف أحداً ولربما ايضاً أن هذا قد أسس لسنة الاستخلاف التي استند عليها

مناصرو الوراثة فيما بعد, وحين استخلف عمر لم يستخلف شخصاً بعينه وإنما استخلف بقية العشرة المبشرين بالجنة على قدم المساواة, تاركاً للمسلمين حق بيعة أو اختيار الأفضل ولكن وكما سنلاحظ فيما بعد أن الاختيار تحكمت به مناورات السياسة والنفوذ.

لم يشذ عمر عن أبي بكر في التشديد دوماً على انه يحكم بموجب الاسلام وليس على هواه واستمر في الطلب من الناس أن يوجهوه إذا ما حاد.

العنوان الرئيسي لخلافة عمر هو التشدد والعدل أو بالأصح التشدد في العدل, كما أن خلافته لم تكن موضع خلاف أو حتى نقاش لم ينافسه احد عليها ولم ينكرها عليه أحد، ولم يطالبه أحد بالتخلي عنها.

ورث عمر دولة قوية ومتماسكة ومستقرة أمنياً إنما كانت في مرحلة تضخم مضطرد تتوسع بمساحتها وثروتها وتنوع سكانها ومن هنا كان التشدد في العدل والتخوف من الفساد والفتنة أولوية لدى عمر وربما تجاوزت ذلك لتصبح هاجساً، فكان دوماً احترازياً متشدداً في التعامل مع أصحاب النفوذ خشية افتتانهم بالقوة والغنى. كان حريصاً على مراقبة ومحاسبة الجميع ومدققاً على ولاته اينما كانوا.

كما نجح عمر في التصدي للتحديات الناجمة عن تضخم الدولة وتوسعها.

كانـت فـترة اقـرب إلى الازدهـار والتقـدم والاسـتقرار في جميـع المجالات، ولعل وفاته المبكرة بالاغتيال كانت ضـربة رئيسية للاسـتقرار في الدولة الاسلامية.

تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده إليهم

ثم إن المهاجرين دخلوا على عمر ﷺ، وهو في البيت من جراحه تلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين استخلف علينا، قال: والله لا احملكم حيـاً وميتاً ثم قال: ان استخلفت فقد استخلف من هو خـير مـني، يعـني أبـا بكر. وان ادع فقـد ودع مـن هـو خـير مـني يعـني الـنبي عليـه الـصلاة والسلام فقالوا: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فقال: ما شاء الله راغبـاً وددت ان انجو منها لا لي ولا علي.

فلما أحس بالموت قال لابنه: اذهب إلى عائشة وأقرئها مني السلام واستاذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع ابي بكـر فأتاهـا عبـد الله بن عمر فاعلمها فقالـت: نعـم وكرامـة ثـم قالـت: يـا بـني أبلـغ عمـر سلامي، وقل له: **لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليم ولا تدعهم بعدك هملاً فاني اخشى عليهم الفتنة** فاتى عبدالله فاعلمه، فقـال ومـن تأمرني ان استخلف؟ لو ادركت أبا عبيدة بـن الجـراح باقيـاً اسـتخلفته ووليته فاذا قدمت على ربي فسألني وقـال لـي: مـن وليـت علـى أمـة محمد؟ قلت إي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة ابو عبيدة بن الجراح ولو ادركت معـاذ بـن جبـل اسـتخلفته

فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد؟ قلت: اي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: ان معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة، ولو ادركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربي فسألني: من وليت على أمة محمد؟ قلت اي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين **ولكني ساستخلف النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض** فارسل اليهم فجمعهم وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ﷺ وكان طلحة غائباً فقال: يا معشر المهاجرين الأولين اني نظرت في أمر الناس فلم اجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فان جاءكم طلحة إلى ذلك والا فاعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فإن أشرتم بها إلى طلحة فهو لها اهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة الأيام التي تشاورون فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم أمركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شيء، وأحضروا معكم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس فان لهما قرابة وارجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من أمركم شيء **ويحضر ابني عبدالله مستشاراً وليس له من الأمر شيء** قالوا: يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به فقال: حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الأمر شيء ثم قال: يا عبدالله اياك ثم اياك لا

تتلبس بها ثم قال: ان استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضـربوا عنقه، وإن استقام اربعة واختلف اثنـان فاضـربوا عنقيهمـا وان اسـتقر ثلاثة واختلف ثلاثـة فـاحتكموا إلى ابـني عبـدالله فـلأي الثلاثـة قـضى فالخليفة منهم وفيهم، فان أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا اعنـاقهم، فقالوا: قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيهـا برايـك ونقتـدي بـه. فقال: والله ما يمنعني ان استخلفك يا سعد الا شـدتك وغلظتـك، مـع انك رجل حرب. وما يمنعني منك يا عبد الرحمن الا انك فرعون هـذه الأمة وما يمنعني منك يا زبير إلا لأنك مؤمن الرضا كافر الغضب ومـا يمنعني من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته وما يمنعني منك يا عثمان الا عصبيتك وحبك قومك واهلك وما يمنعني منك يا علي الا حرصك عليها، وانك أحرى القوم إن وليتها أن تقـيم على الحق المبين والصراط المستقيم أوصـي الخليفـة مـنكم بتقـوى الله العظيم واحذره مثل مـضجعي هـذا واخوفـه يومـاً تبـيض فيـه وجـوه وتسود وجوه، يوم تعرضون على الله لا تخفى مـنكم خافيـه ثـم غـشي عليه حتى ظنوا انه قد قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق من اغمائه، فقال قائل: إن كان شيء ينبه فالصلاة فقالوا: يا أمير المـؤمنين الـصلاة ففـتح عينيه فقال: الصلاة هانذا لاحظ في الاسلام لمـن تـرك الـصلاة فـصلى وجرحه يثعب دما، ثم التفت إليهم وقال: قد قومت لكم الطريـق فـلا تعوجوه ثم التفت إلى علي بن ابي طالب فقال: هؤلاء القـوم يعرفـون لك حقك وشرفك وقرابتك من رسـول الله ومـا اتـاك الله مـن العلـم

والفقه والدين فيستخلفوك، فان وليت هذا الأمر فاتق الله يا علي فيه ولا تحمل احدا من بني هاشم على رقاب الناس ثم التفت إلى عثمان فقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفوك فان وليت هذا الأمر فلا تحمل احداً من بني أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيبا فقال: يا صهيب صلِّ بالناس ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم: اخرجوا عني اللهم ألِّفْهُم واجمعهم على الحق ولا تردهم ومات من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب".

(الإمامة والسياسة ص 25-26).

يلاحظ من كلام عمر انه قد عرف الستة مرشحين حق المعرفة فضل كل منهم وعيبه وقد نقل رأيه للناس ليسترشدوا في الحكم عليهم, كما انه تحسب للخلاف فأضاف ابنه عمر وليس له من الأمر شيء في حال تساوت الأصوات, وأضاف أيضاً الحسن بن علي وعبدالله بن عباس وليس لهما دور محدد، وعلى الأغلب أن يكون لإضفاء القوة والهيبة على الاختيار حيث لم يشر بأن لأي منهما الحق في التصويت كما حاول عمر ان يضع آلية حازمة لمنع الفرقة والاختلاف بضرب عنق من يخالف الجماعة.

أما فيما يتعلق بالأنصار فكان الإصرار على حضورهم من باب الإجماع "وليس لهم من أمركم في شيء" حيث لا حق لهم في الترشح

وبذلك يكون عمر قد استمر على نهج أن الأمر لقريش وعمل على ترسيخه.

اللافت للنظر أن عمر رغم معرفته العميقة بالأشخاص وببذور الخلاف والشقاق، ورغم ما عرف عنه من حزم لم يكن حازماً بالقدر الذي يجعله يختار ومن يتتبع أقواله يجد انه كان دوماً حساساً ومتوجساً من موضوع الخلافة وامكانية أن يخطئ في الحكم والاختيار.

خلافة عثمان بن عفان ﷺ

بيعة عثمان ﷺ

ذكر الشورى وبيعة عثمان بن عفان ﷺ

ثم انه بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا في بيت أحدهم وأحضروا عبدالله بن عباس والحسن بن علي وعبدالله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلاً، فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف: اتدرون اي يوم هذا؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ان لا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا احدكم، قالوا: اجل: قال: فاني عارض عليكم أمرا قالوا: وما تعرض؟ قال: ان تولوني أمركم واهب لكم نصيبي فيها واختار لكم من انفسكم، قالوا: قد اعطيناك الذي سألت فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فجعل الزبير أمره إلى علي وجعل طلحة أمره إلى عثمان وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف.

قال المسور بن مخرمة: فقال لهم عبد الرحمن: كونوا مكانكم حتى اتيكم وخرج يتلقى الناس في انقاب المدينه متلثماً لا يعرفه أحد فما ترك احداً من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سألهم واستشارهم، أما أهل الرأي فأتاهم مستشيرًا وتلقى غيرهم سائلاً يقول: من ترى الخليفة بعد عمر؟ فلم يلق احداً يستشيره ولا

يسأله الا ويقول عثمان فلما راى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان.

قال المسور: جاءني ﷺ عشاء، فوجدني نائماً فخرجت اليه فقال: الا اراك نائماً فوالله ما اكتحلت عيني منذ هذه الثلاثة ادع لي فلاناً وفلاناً (نفراً من المهاجرين) فدعوتهم له فناجاهم في المسجد طويلاً ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا علياً فناجاه طويلاً، ثم قام من عنده على طمع ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته، فناجاه طويلاً حتى فرق بينهما ان أتت صلاة الصبح فلما جمعهم فاخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق: لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فاعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وايضاً لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معي على من ابى فاعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم فلما تم ذلك **أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك، وشرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس فقال عثمان: نعم: ثم اخذ بيد علي فقال له: ابايعك على شرط عمر ان لا تجعل احداً من بني هاشم على رقاب الناس فقال علي عند ذلك: مالك ولهذا اذا قطعتها في عنقي؟ فان علي الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم؛ قال عبد الرحمن: لا والله حتى تعطيني هذا الشرط؛**

قال علي: والله لا أعطيكه أبداً، فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال/ اني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعل يا علي سبيلاً إلى نفسك، فانه السيف لا غير، ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً.

(الإمامة والسياسة ص 27 -28).

خطبة عثمان رضي الله عنه

"لما بايع اهل الشورى عثمان, خرج وهو أشدهم كآبة, فأتى منبر رسول الله فخطب الناس, فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وقال ﷺ انكم في دار قلعة، وفي بقية اعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد اتيتم، صُبحتم أو مسّيتم، ألا وان الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى، ثم جِدّوا ولا تغفلوا، فأنه لا يغفل عنكم. أين ابناء الدنيا واخوانها الذين اثاروها وعمروها ومُتّعوا بها طويلاً, ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها, واطلبوا الآخرة، فان الله قد ضرب لها مثلاً، وللذي هو خير، فقال عز وجل: ﴿ مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿٤٥﴾ ﴾ إلى قول - (أملا). (سورة الكهف:45)، واقبل الناس يبايعونه.

(الطبري ج 5 ص87).

خطبة عثمان

"أما بعد, فإني قد حُمِّلت وقد قبلت, ألا وإني متبع ولست بمبتدع, ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله وسنة نبيه ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما أجمعتم عليه وسننتم، وسنُّ سنة أهل الخير فيما لم تسنّوا عن ملاء, والكف عنكم الا فيما استوجبتم. ألا وان الدنيا خَضِرةٌ قد شُهيت إلى الناس, ومال اليها الكثير منهم, فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها, فإنها ليست بثقة, واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها"

(الطبري ج5 ص201).

بدأ عثمان عهده بطمئنة الناس على اتباع سنة من قبله وما أُجمِع عليه ووعدهم بسن السنن الخيرة والكف عنهم, الا أن الأمور سارت باتجاه مخالف تماماً لهذه الوعود والتنابع ما رُوي عن عهد عثمان.

بداية حكم عثمان

"فكان عثمان ﷺ ست سنين في ولايته وهو أحب إلى الناس من عمر بن الخطاب ﷺ. وكان رجلاً شديداً قد ضيق على قريش انفاسها لم ينل أحد معه من الدنيا شيئاً إعظاماً له واجلالاً وتأسياً به واقتداء، فلما وليهم عثمان ولي رجل لين.

قال الحسن البصري: شهدت عثمان وهو يخطب وأنا يومئذ قد راهقت الحلم، فما رأيت قط ذكراً ولا انثى أصبح وجهاً ولا احن

نضرة منه فسمعته يقول: ايها الناس اغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية ايها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت اذناي: يا معشر المسلمين اغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول: يا معشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والعدوان والله منفي والاعطيات دارة والخير كثير وما على الارض مؤمن يخاف مؤمناً من لقي في اي البلدان فهو اخوه واليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفراً حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقاً وبيع الفرس بعشرة الاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بالف. ثم انكر الناس على عثمان اشياء اشرا وبطرا قال ابن عمر: لقد عيب عليه أشياء لو فعلها عمر ما عيبت عليه".

(الإمامة والسياسة ص 27-28).

ما انكر الناس على عثمان رحمه الله

قال: وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من **<u>هبته خمس إفريقية لمروان</u>** وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتأمى والمساكين **<u>وما كان من تطاوله في البنيان</u>** حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينه: داراً لنائله وداراً لعائشة

وغيرهم من اهله وبناته وبنيان مروان القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، **وما كان من افشائه العمل والولايات في اهله وبني عمه من بني أمية احداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ﷺ ولا تجربة لهم بالأمور** وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة، اذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليهم سكران أربع ركعات ثم قال لهم: ان شئتم ازيدكم صلاة زدتكم وتعطيله اقامة الحد عليه وتاخيره ذلك عنه **وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملون على شيء ولا يستشيرهم برأيه عن رأيهم**، وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينه وما كان من ادراره القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينه ليست لهم صحبة من النبى عليه الصلاة والسلام ثم يغزون ولا يذبون **وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران.**

(الإمامة والسياسة/ 31-32).

أين خطاب مباشرة الحكم والخلافة من هذه الاحتجاجات فها هو الوضع يؤول إلى سنن غير سنن الأولين وإجماع الناس من الأثرة وحمل بني ابي معيط على رقاب الناس وتجاوز ذلك إلى ضربهم بالسوط؟؟؟

نصيحة علي

((فدخل علي على عثمان فقال له: الناس ورائي وقد كلموني فيك. والله ما أدري ما أقول لك، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغه، وما خصصنا بأمر دونك. وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره. وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا ولا سبقاك إلى شيء فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة. تعلم يا عثمان أن أضل عباد الله عند الله إمام جائر ضل وضل به فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم، فيدور في جهنم كما تدور الرحى، ثم يرتطم في غمرة جهنم'. وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته، فإن عذابه شديد أليم. وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه يقال: يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس

أمورها عليها، ويتركهم شيعاً فلا يبصرون الحق لعلو الباطـل، يموجـون فيها موجاً ويموجون فيها مرجاً))

(الطبري احداث 34 - طه حسين – عثمان-203).

عثمان يهدد

((أما بعد فإن لكل شئ آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمـة وعاهة هذه النعمـة عيـابون طعـانون يـرونكم مـا تحبـون ويـسرون مـا تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحـب مواردها إليها البعيد، لا يـشربون إلا نغـصاً، ولا يـردون إلا عكـراً، لا يقوم لهم رائد، وقد اعيتهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسـب! ألا **فقـد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثلـه، ولكنـه وطـئكم برجلـه وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم لـه علـى مـا أحببـتم أو كـرهتم. ولنت لكم وأوطات لكم كنفي وكففت يدي ولساني عنكم، فـاجترأتم علي. أما والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأقمن إن قلت هلم أتي إلي**. ولقد أعددت لكم أقـرانكم وأفـضلت علـيكم فـضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لم أكـن أحـسنه ومنطقـاً لم أنطق به. فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكـم، فـإني قد كففت عنكم من لو كـان هـو الـذي يكلمكـم لرضـيتم منـه بـدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقكم؟ والله ما قـصرت في بلـوغ مـا

كان يبلغ من كان قبلي ومن لم تكونوا تختلفون عليه. فضلَ فضلٌ من مال، فما لي لا أصنع في الفضل ما أريد؟ فلمَ كنت إماماً؟))

كتاب عثمان إلى أهل الموسم

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم. فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فأني أذكركم بالله جل وعز الذي أنعم عليكم وعلمكم الاسلام. وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البينات، وأوسع عليكم من الرزق، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمته، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ (إبراهيم: ٣٤)، وقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ (آل عمـــــران: 104، 103، 102، 105). وقـال وقولـه الحـق: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ٧ ﴾ (المائـــدة:7). وقـال وقولـه الحـق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (الحجرات: ٦).

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ (آل عمـــــران:٧٧). وقـــــال وقولـــــه الحـــــق: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾ (التغابن:١٦). وقـال وقولـه الحـق: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (النحل: ٩١-٩٦). وقال وقوله هو الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء: ٥٩). وقال وقوله الحق: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: ٥٥). وقال قوله الحق: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الفتح:١٠) .

أما بعد، فان الله جل وعز رضي لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذركم من المعصية والفرقه والاختلاف، ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم، وتقدم اليكم فيه ليكون له الحجه عليكم أن عصيتموه. فأقبلوا نصيحة الله جل وعز واحذروا عذابه، فأنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف، الا ان يكون لها رأس يجمعها. ومتى ما تفعلوا ذلك تقيموا الصلاة جميعاً، وسلط عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرم بعض. ومتى يفعل ذلك لا يقم لله سبحانه دين، وتكونوا شيعاً.

وقال الله جل وعز لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، واني أوصيكم بما أوصاكم الله، وأحذركم عذابه، فإن شعيباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (هود: ٨٩: ٩٠). أما بعد. فإن اقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث اظهروا للناس انهم انما يدعون إلى كتاب الله عز وجل هو الحق، ولا يريدون الدنيا ولا منارعة فيه فلما عرض عليهم الحق اذا الناس في ذلك شتى، منهم أخذ للحق ونازع عنه حين يعطاه، ومنهم تارك للحق رغبةً في الأمر يريد أن يبتزه لغير الحق. طال عليهم

عمري وراث عليهم أملـهم في الأمـر، فاسـتعجلوا القـدر. وقـد كتبـوا اليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم. ولا أعلم أني تركت مـن الـذي عاهدتهم عليه شيئاً. كانوا زعموا انهم يطلبون الحدود، فقلت أقيموهـا على من علمتم تعداها في احدى. أقيموها على من ظلمكم من قريـب أو بعيد. قالوا كتاب الله يتلى فقلت فليتله من تلاه غير غالٍ فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب. وقالوا: المحروم يرزق والمال يوفى ليستن فيه الـسنة الحسنة، ولا يهتدى بالخمس ولا في الصدقة ويؤمر ذو القـوة والأمانـة، وترد مظالم الناس إلى اهلها، فرضـيت بـذلك واصـطبرتُ لـه، وجئـت نسوة النبي ﷺ حتى كلمتهن. فقلت: ما تأمرنني؟ فقلن: تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس، وتدع معاوية فإنما أمره أمـير قبلـك، فإنـه مصلح لأرضه راض به جنده وارْدُد عمراً فإن جنده راضون بـه وأمـره فليصلح أرضه فكل ذلك فعلت، وأنه اعتدى عليّ بعد ذلك وعدا على الحق.

كتبت إلـيكم واصـحابي الـذين زعمـوا في القـدر، ومنعـوا مـن الصلاه، وحالوا بيني وبين المـسجد، وابتـزوا مـا قـدروا عليـه بالمدينـة. كتبت اليكم كتابي هذا **وهم يخيرونني أحدى ثلاث: أما يقيدونني بكـل رجل أصبتُهُ خطأ أو صواب غير متروك منه شيء، وأما اعتـزل الأمـر فيأمرون آخر غيري وأما يرسلون إلى من اطاعهم مـن الأجنـاد وأهـل المدينه فيتبرؤون من الذي جعـل الله سـبحانه لـي علـيهم مـن الـسمع**

والطاعه فقلت لهم: أما إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب فلم يستقد من أحد منهم. وقد علمت أن ما يريدون نفسي. وأما أن اتبرأ من الإمارة فإن يكلبوني أحب الي من أن اتبرأ من عمل الله عز وجل وخلاقته., أما قولكم يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينه فيتبرؤون من طاعتي فلست عليكم بوكيل. ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن اتوها طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها الا ما كتب الله عز وجل له، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الأخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله عز وجل والسنه الحسنه التي استن بها رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده رضي الله عنهما فإنما يجزي بذلكم الله، وليس بيدي جزاؤكم، ولو اعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ولم يغن عنكم شيئاً. فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده فمن يرضى بالنكث منكم فاني لا ارضاه له ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده. وأما الذي يخيرونني فانما كله النزع والتأمير. فملكت نفسي ومن معي ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه، وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء. فاني أنشدكم بالله والاسلام إلا تأخدوا الا الحق وتعطوه مني وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل، فأني انشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والمؤزرة في أمر الله، فأن الله سبحانه قال وقوله الحق:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٣). فإن هذه معذرة إلى الله، ولعلكم تذكرون.

<u>أما بعد، فأني لا أبرئ نفسي إن النفس لإمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إنّ ربي غفورٌ رحيم</u>. وان عاقبت اقواماً فما ابتغي بذلك الا الخير. وأني اتوب إلى الله عز وجل من كل عملً عملته واستغفره انه لا يغفر الذنوب إلا هو. ان رحمة ربي وسعت كل شيء. انه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الظالمون. وأنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون وأنا اسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ويكره إليها الفسق. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ايها المسلمون والمؤمنون.

(طه حسين عثمان 227-231).

حصار عثمان رضي الله عنه

قال: وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان: استأذنه علي في بعض بواديه ينتحي اليها! فاذن له؟ واشتد الطعن على عثمان بعد خروج علي: ورجا الزبير وطلحة أن يميلا إليهما قلوب الناس، ويغلبا عليهم واغتنما غيبة علي فكتب عثمان إلى علي اذ اشتد الطعن عليه: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى! وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس

في شأني فوق قدره! وزعموا انهم لا يرضون دون دمي وطمع في من لا يدفع عن نفسه:

وأنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال: أكل السبع خير من افتراس الثعلب: فاقبل علي أولي:

فان كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فادركني ولما أمزق

قال حويطب بن عبد العزي: ارسل إلى عثمان حين اشتد حصاره فقال: قد بدا لي ان اتهم نفسي لهؤلاء فأْتِ عليا وطلحة والزبير فقل لهم: هذا أمركم تولوه، واصنعوا فيه ما شئتم فخرجت حتى جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس. والباب المغلق لا يدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته في منزله ليس ببابه أحد فاخبرته بما أرسلني به عثمان فقال/ قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين هل جئت عليا؟ نعم فلم اخلص اليه فقمنا جميعا فأتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه في داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان، فقال قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين هل جئتم عليا؟ قلنا نعم: فلم نخلص اليه.

فأرسل طلحة إلى الأشتر فأتاه فقال لي: اخبره فاخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ما عليه أمير المؤمنين

فقام الاشتر فقال: تبعثون إلينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وها هو ذا فاخرج كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابه والتابعين، أما بعد أن تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل يسلبها اهلها فكتاب الله قد بدل وسنة رسوله قد غيرت واحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين باحسان إلا اقبل الينا وأخذ الحق لنا واعطاناه، فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا نبوة ورحمة وهي اليوم ملك عضوض من غلب على شيء اكله أليس هذا كتابكم الينا؟ فبكى طلحة: فقال الاشتر: لما حضرنا اقبلتم تعصرون أعينكم والله لا نفارقه حتى نقتله وانصرف.

قال: ثم كتب عثمان كتاباً مع نافع بن طريف إلى اهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفه بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين، أما بعد فاني كتبت اليكم كتابي هذا وانا محصور أشرب من بئر القصر، ولا اكل من

الطعام ما يكفيني خيفة تنفذ ذخيرتي فأموت جوعاً ومن معي **لا ادعي إلى توبة اقبلها ولا تسمع مني حجة اقولها** فانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم علي فأخذ الحق في ومنعني من الظلم والباطل قال: ثم قام ابن عباس فاتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه.

وكتب إلى أهل الشام عامة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة: أما بعد فاني في قوم طال فيهم مقامي **واستعجلوا القدر في وقد خيروني بين ان يحملوني على شارف من الإبل إلى دخل، وبين أن انزع لهم رداء الله الذي كساني** وبين ان قيدهم ممن قتلت ومن كان على سلطان يخطئ ويصيب فيا غوثاه يا غوثاه ولا أمير عليكم دوني، فالعجل العجل يا معاوية وادرك ثم ادرك وما اراك تدرك.

``حصار عثمان ومقتله

ولما كثرت الإشاعة في الأمصار بالطعن على عثمان وعماله وكتب بعضهم إلى بعض في ذلك وتوالت الأخبار بذلك على أهل المدينة جاءوا إلى عثمان وأخبروه فلم يجدوا عنده علماً منه. وقال: أشيروا علي وأنتم شهود المؤمنين. قالوا: تبعث من تثق به إلى الأمصار يأتوك بالأخبار. فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبد الله بن عمر إلى الشام وغيرهم إلى سواها. فرجعوا وقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره علماء المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار بن ياسر بمصر، واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان

بن حمران وكنانة بن بشر. وكتب عثمان إلى أهل الأمصار إني قد رفع إلي أهل المدينة أن عمالي وقع منهم أضرار بالناس، وقد أخذتهم بأن يوافوني في كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ حقه مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين. فبكى الناس عند قراءة كتابه عليهم ودعوا له. وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه في الموسم: عبد الله بن عامر وابن أبي سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمراً وقال: ويحكم ما هذه الشكاية والإذاعة وإني لأخشى والله أن يكونوا صادقين! فقالوا له: ألم يخبرك رسلك بأن أحداً لم يشافههم بشيء وإنما هذه إشاعة لا يحل الأخذ بها واختلفوا في وجه الراي في ذلك. فقال عثمان: إن الأمر كائن وبابه سيفتح ولا أحب أن تكون لأحد علي حجة في فتحه. وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً فسكنوا الناس وبينوا لهم حقوقهم. ثم قدم المدينة فدعا علياً وطلحة والزبير ومعاوية حاضر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أنتم ولاة هذا الأمر واخترتم صاحبكم يعني عثمان وقد كبر وأشرف وفشت مقالة خفتها عليكم فما عنيتم به من شيء فأنالكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم. فانتهره علي ثم ذهب عثمان يتكلم وقال: اللذان كانا قبلي منعا قرابتهما احتساباً وإن رسول الله ﷺ كان يعطي قرابته وإن قرابتي أهل عيلة وقلة معاش فأعطيتهم فإن رايتم ذلك خطأ فردوه. فقالوا: أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا ومروان خمسة عشر ألفاً. قال: آخذ ذلك منهما. فانصرفوا راضين. وقال له معاوية: اخرج معي إلى

الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه. قال: لا أبتغي بجوار رسول الله ﷺ بدلاً قال: فابعث إليك جنداً يقيمون معك. قال: لا أضيق على جيران رسول الله ﷺ فقال معاوية: لتغتالن ولتعيرن قال: حسبي الله ونعم الوكيل. ثم سار معاوية ومر على علي وطلحة والزبير فوصاهم بعثمان وودعهم ومضى. وكان المنحرفون عن عثمان بالأمصار قد تواعدوا عند مسير الأمراء إلى عثمان أن يثبوا عليه في مغيبهم. فرجع الأمراء ولم يتهيأ لهم ذلك. وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار إلى مذهبهم في الإنحراف عن عثمان إن اقدموا علينا فإن الجهاد عندنا فتكاتبوا من أمصارهم في القدوم إلى المدينة، فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وقيل في ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسوادن بن حمران السكوني وميسرة أو قيترة بن فلان السكوني وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكي. وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري. وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدي وزريح بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحرش، وعليهم حرقوص بن زهير السعدي، وكلهم في مثل عدد أهل مصر. وخرجوا جميعاً في شوال مظهرين للحج ولما كانوا من المدينة على ثلاثة مراحل تقدم ناس من أهل البصرة وكان هواهم في طلحة فنزلوا ذا خشب وتقدم ناس من أهل الكوفة: وكان هواهم في الزبير فنزلوا الأعوص ونزل معهم ناس من أهل مصر، وكان هواهم في علي

وتركوا عامتهم بذي المروة. وقال أبو زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم من أهل الكوفة لا تعجلوا حتى ندخل المدينة، فقد بلغنا أنهم عسكروا لنا فوالله إن كان حقاً لا يقوم لنا أمر. ثم دخلوا المدينة ولقوا علياً وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين وأخبروهم أنهم إنما أتوا للحج وأن يستعفوا من بعض العمال واستأذنوا في الدخول فمنعوهم ورجعوا إلى أصحابهم. وتشاوروا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق إلى أصحابهم كياداً وطلباً في الفرقة. فأتى المصريون علياً وهو في عسكره عند أحجار الزيت، وقد بعث ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم فصاح بهم وطردهم وقال: إن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان رسول الله ﷺ وقد علم ذلك الصالحون. وأتى البصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثل ذلك فانصرفوا وافترقوا عن هذه الأماكن إلى عسكرهم على بعد. فتفرق أهل المدينة فلم يشعروا إلا والتكبير في نواحيها وقد هجموا وأحاطوا بعثمان ونادوا بأمان من كف يده. وصلى عثمان بالناس أياماً ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه. وغدا عليهم علي فقال: ما ردكم بعد ذهابكم قالوا: أخذنا كتاباً مع يزيد بقتلنا. وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل مقالة أهل مصر وإنهم جاءوا لينصروهم. فقال لهم علي: كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعاً هذا أمر أبرم بليل: فقالوا: اجعلوه كيف شئتم، لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا

وهم يصلون خلفه ومنعوا الناس من الاجتماع معه. وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستحثهم، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري وبعث عبد الله بن أبي سرح معاوية بن جريح، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وتسابقوا إلى المدينة على الصعب والذلول. وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل المدينة فمن الصحابة عقبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب ومن التابعين مسروق الأسود وشريح وعبد الله ابن حكيم. وقام بالبصرة في ذلك عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر ومن التابعين كعب بن سوار وهرم بن حبان. وقام بالشام وبمصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين. ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال: يا هؤلاء! الله الله! فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد فأمحوا الخطأ بالصواب. فقال محمد بن مسلمة أنا أشهد بذلك فأقعده حكيم ابن جبلة. وقام زيد بن ثابت فأقعده آخر وحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وأصيب عثمان بالحصباء فصرخ وقاتل دونه سعد بن أبي وقاص والحسين وزيد بن ثابت وأبو هريرة. ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في الإنصراف فانصرفوا. ودخل علي وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من بني أمية فيهم مروان فقالوا لعلي: أهلكتنا وصنعت هذا الصنع والله لئن بلغت الذي تريد لتحزن عليك الدنيا فقام مغضباً وعادوا إلى منازلهم. وصلى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوماً. ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أمير المصريين الغافقي بن حرب العكي.

وتفرق أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح وبقي الحصار أربعين يوماً. وقيل بل أمر عثمان أبا ايوب الأنصاري فصلى أياماً. ثم صلّى علي بعده بالناس وقيل أمر علياً سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة ثم صلى العيد والصلوات حتى قتل عثمان. وقد قيل في حصار عثمان: إن محمد بن أبي بكر ومحمد بن حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان. فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحج ومضمرين قتل عثمان أو خلعه وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي كان فيمن خرج مع المصريين محمد بن أبي بكر. وبعث عبد الله بن سعيد في آثارهم وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر. فلما كان ابن أبي سرح بايلة بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصروه وأن محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر فرجع سريعاً إليهما فمنع منهما فأتى فلسطين وأقام بها حتى قتل عثمان. وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان إلى بيت علي ومت إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردهم لئلا تظهر الجرأة منهم فقال له علي: قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن أبي سرح وسعيد فعلى أي شيء أردهم، فقال على أن أصير إلى ما تراه وتشيره وأن أعصي أصحابي وأطيعك. فركب علي في ثلاثين من المهاجرين والأنصار فيهم سعد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت

وحسان وكعب بن مالك ومن العرب دينار بن مكرز. فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم علي ومحمد بن مسلمة. فرجعوا إلى مصر وقال ابن عديس لمحمد: أتوصينا بحاجة؟ قال: تتقي الله وترد من قبلك عن أمانه فقد وعدنا أن يرجع وينزع. ورجع القوم إلى المدينة ودخل علي على عثمان وأخبره برجوع المصريين. ثم جاءه مروان من الغد، فقال له: أخبر الناس بأن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عنك كان باطلاً قبل أن تجيء الناس من الأمصار ويأتيك ما لا نطيقه ففعل. فلما خطب ناداه الناس كل ناحية: إتق الله يا عثمان وتب إلى الله وكان أولهم عمرو بن العاص. فرفع يده وقال لهم: إني تائب. وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين ثم جاء الخبر بحصاره وقتله. وقيل: إن علياً لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس ما اعتزم عليه من النزوع قبل أن يجيء غيرهم ففعل وخطب بذلك وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال: أنا أول من أتعظ استغفر الله مما فعلت، وأتوب إليه فليأت أشرافكم يروني رايهم فوالله إن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد ولأذلن ذل العبد وما عن الله مذهب إلا إليه. فوالله لأعطينكم الرضى ولا أحتجب عنكم. ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله. فجاءه نفر من بني أمية يعذلونه في ذلك فوبختهم نائلة بنت الفرافصة فلم يرجعوا إليها، وعابوه فيما فعل واستذلوه في إقراره بالخطيئة والتوبة عند الخوف، واجتمع الناس في الباب وقد ركب بعضهم بعضاً. فقال لمروان كلمهم! فأغلظ لهم في القول وقال: جئتم

لنزع ملكنا من أيدينا. والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم وبلغ الخبر علياً فنكر ذلك وقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث: أسمعت خطبته بالأمس ومقالة مروان للناس اليوم. يا لله ويا للناس! إن قعدت في بيتي قال تركتني وقرابتي وحقي وإن تكلمت فجاء ما يزيد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول ﷺ. وقام مغضباً إلى عثمان واستقبح مقالة مروان وأنبه عليها وقال: ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، فقد أذهبت شرفك وغلبت على رأيك. ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول علي فعذلته في طاعة مروان وأشارت عليه باستصلاح علي فبعث إليه فلم يأته. فأتاه عثمان إلى منزله ليلاً يستلينه ويعده الثبات على رأيه معه فقال: بعد أن أقام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم فخرج عثمان وهو يقول خذلتني وجرأت علي الناس! فقال علي: والله إني أكثر الناس ذباً عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضاً جاء مروان بأخرى، فسمعت قوله وتركت قولي. ثم منع عثمان الماء فغضب علي غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان وقيل إن علياً كان عند حصار عثمان بخيبر، فقدم والناس يجتمعون عند طلحة فجاءه عثمان وقال يا علي! إن لي حق الإخاء والقرابة والصهر، ولو كان أمر الجاهلية فقط لكان عاراً على بني عبد مناف أن تنزع تيم أمرهم فجاء علي إلى طلحة وقال ما هذا فقال طلحة: أبعد ما مس الحزام الطبيين يا أبا حسن! فانصرف

علي إلى بيت المال وأعطى الناس فبقي طلحة وحده. وسر بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له: والله ما جئت تائباً ولكن مغلوباً فالله حسيبك يا طلحة. وقيل إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبويب وهو على بعير من إبل الصدقة، يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم. وقيل وجدت الصحيفة بيد أبي الأعور السلمي. فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون والبصريون وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم: قد كلمنا علياً وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدونا أن يكلموه فليحضر علي معنا عند عثمان. ثم دخل علي ومحمد على عثمان وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كتب ولا علم. فقال محمد: صدق! هذا من عمل مروان. ودخل المصريون فشكا ابن عديس بابن أبي سرح وما أحدثه بمصر وأنه ينسب ذلك إلى كتاب عثمان وإنا جئنا من مصر لقتلك فردنا علي ومحمد وضمناً لنا النزوع عن هذا كله، فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس وهو بيد غلامك وعليه خاتمك. فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم. قالوا فكيف يجترىء عليك بمثل هذا فقد استحقيت الخلع على التقديرين ولا يحل أن يولى الأمور من ينتهي إلى هذا الضعف فاخلع نفسك. فقال: لا أنزع ما ألبسني الله ولكن أتوب وأرجع. قال: رأيناك تتوب وتعود فلا بد من خلعك أو قتلك

وقتال أصحابك دون ذلك إلى أن يخلص إليك أو تموت. فقال: لا ينالكم أحد بأخرى ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار. ثم كثر اللغط وأخرجوا ومضى علي إلى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامر يستحثهم. وقام يزيد بن أسد القسري فاستنفر أهل الشام وسار إلى عثمان وبلغهم قتله بوادي القرى فرجعوا. وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة ومن البصرة مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربذة فرجعوا. وكان بطانة عثمان أشاروا عليه أن يبعث إلى علي في كفهم عنه على الوفاء لهم فبعث إليه في ذلك فأجاب بعد توقف. ثم بعث إليهم فقالوا: لا بد أن تتوثق منه وجاءه فأعلمه وتوثق منه على أجل ثلاثة أيام. وكتب بينهم كتاباً على رد المظالم وعزل من كرهوه من العمال. ثم مضى الأجل وهو مستعد ولم يغير شيئاً فجاءه المصريون من ذي خشب بستنجزون عهدهم فأبى فحصروه. وأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأشرف عليهم فحياهم ودعا لهم ثم قال: أنشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم، أتقولون إنه لم يستجب لكم أو تقولون إن الله لم يبال بمن ولى هذا الدين أم تقولون إن الأمة ولو مكابرة وعن غير مشورة فوكلهم إلى أمرهم. أو لم يعلم عاقبة أمري! ثم أنشدكم الله هل تعلمون لي من السوابق ما يجب حقه! فمهلاً فلا يحل إلا قتل ثلاثة: زانٍ بعد إحصان وكافر بعد ايمان وقاتل بغير حق. ثم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف. فقالوا له: أما ذكرت من

الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعإلى فيه الخيرة ولكـن الله ابتلـى بك عباده. وأما حقك وسابقتك فصحيح لكن أحدثت مـا علمـت ولا تترك إقامة الحق مخافة الفتنة عاماً قابلاً. وأما حصر القتل في الثلاثة ففي كتاب الله: قتل من سعى في الأرض فساداً ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والمكابرة عليه، وأنت إنما تمسكت بالأمـارة علينـا وإنمـا قاتـل دونك هؤلاء بهذه التسمية فلو نزعتها انصرفوا. فـسكت عثمـان ولـزم الدار وأقسم على النـاس بالانـصراف فانـصرفوا إلا الحـسن بـن علـي ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وكانت مدة الحصار أربعـين يومـاً. ولثمان عشرة منهـا وصـل الخـبر بمـسير الجنـود مـن الأمـصار. فاشـتد الحصار ومنعوه من لقاء الناس ومـن المـاء. وأرسـل إلى علـي وطلحـة والزبير وأمهات المؤمنين يطلب الماء. فركب علي إليهم مغلساً وقال: يا أيها الناس إن هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين! وإن الأسير عنـد فارس والروم يطعم ويسقى. فقالوا لا والله ونعمة عين فرجع وجـاءت أم حبيبة على بغلتها مشتملةً على أداوةٍ وقالـت: أردت أن أسـأل هـذا الرجل عن وصايا عنده لبني أميـة أو تهلـك أمـوال ايتـامهم وأراملـهم فقالوا: لا والله وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها وذهـب بها الناس إلى بيتها. وأشرف عليهم عثمان وقرر حقوقه وسوابقه. فقال بعضهم: مهلاً عن أمير المؤمنين. فجاء الأشتر وفـرق النـاس وقـال: لا يمكر بكم. ثم خرجت عائشة إلى الحـج ودعـت أخاهـا فـأبى فقـال لـه حنظلة الكاتب: تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما

لا يحل. ولو قد صار الأمر إلى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف. ثم ذهب حنظلة إلى الكوفة وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة فلزموا بيوتهم. وكان آل حزم يدسون الماء إلى بيت عثمان في الغفلات، وكان ابن عباس ممن لزم باب عثمان للمدافعة فأشرف عليه عثمان، وأمره أن يحج بالناس فقال: جهاد هؤلاء أحب إلي فأقسم عليه وانطلق. ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم، وأن أهل الأمصار يسيرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان ﷺ وتقبل شهادتهم يرجون في ذلك خلاصهم واشتغال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسن بن علي وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب. ثم صدهم عثمان في القتال وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاؤوا بالنار وأحرقوه ودخلوا وعثمان يصلي وقد افتتح سورة طه. وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ (آل عمران: ١٧٣). ثم قال لمن عنده: إن رسول الله ﷺ قد عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه ومنعهم من القتال وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه فأبى وقاتل دونه. وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق قد تعجل من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل. وجاء أبو هريرة ينادي: يا

قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار وقاتل. ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتلأت قوماً ولا يشعر الذين بالباب وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى، فخرج ودخل آخر، ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم. وجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله. ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلاً بما لا حاجة إلى ذكره ثم استحيا وخرج. ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقي الضرب بيدها فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها. ثم قتلوه وسال دمه على المصحف. وجاء غلمانه فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلى أخر وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى ملاءة نائلة، وقتل الغلمان منهم وقتلوا من الغلمان. ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء. فقال ابن عديس: اتركوه. ويقال إن الذي تولى قتله كنانة بن بشر التجيبي. وطعنه عمرو بن الحمق طعنات. وجاء عمير بن ضابىء وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعاً من أضلاعه. وكان قتله لعثمان عشرة خلت من ذي الحجة وبقي في بيته ثلاثة أيام. ثم جاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى علي، فأذن لهم في دفنه فخرجوا به بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه في حش كوكب، وصلى عليه جبير قيل مروان وقيل حكيم. ويقال: إن ناساً تعرضوا لهم ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل إليهم علي وزجرهم. وقيل إن علياً وطلحة حضرا

جنازته وزيد بن ثابت وكعب بن مالك. وكان عماله عند موته على ما نذكره: فعلى مكة عبد الله بن الحضرمي وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة والبحرين عبد الله بن عامر وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة كذلك، وعلى الأردن أبو الأعور السلمي كذلك، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكندي كذلك وعلى البحرين عبد الله بن قيس الفزاري وعلى القضاء أبو الدرداء، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة والقعقاع بن عمرو على الحرب وعلى خراج السواد جابر المزني، وسماك الأنصاري على الخراج وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس وعلى حلوان عتيبة بن نهاس، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع وعلى ماسبدان خنيس، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو وعلى القضاء زيد بن ثابت.``

(تاريخ ابن خلدون).

طبيعة حكم عثمان

"يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفوك، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل

أحداً من بني أمية على رقاب الناس"؟... **"لو وليها لحمل بني ابي معيط على رقاب الناس, ولو فعلها لقتلوه".**

كان عمر بن الخطاب كان يقرأ الغيب حين خاطب عثمان وكان عثمان قد نسي أو ضعف عما بايع عبد الرحمن بن عوف عليه "*لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر أن لا تجعل أحداً من بني أميه على رقاب الناس*".

ورث عثمان دولة قوية ومستقرة وخالية من المشاكل تقريباً وإن كان اختياره قد مر بمخاض ومناورات سياسية، إلا انه حظي بالإجماع بمجرد أن اختير, اجتمعت لعثمان عناصر قوة كثيرة فهو من السابقين في الاسلام، وصهر الرسول ﷺ ورجل واسع الثراء ومن عصبية قوية, وقد تجاوزت عناصر قوته جميع من سبقوه.

أمران عصفا بخلافة عثمان

- وضعه بني أمية على رقاب الناس خلافاً للبيعة

- اعتبار نفسه مكلفاً من الله لا من الناس مما جعله لا يقدم على التراجع أو التنازل: **وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن يكلبوني أحب إلي من أن اتبرأ من عمل الله عز وجل وخلاقته.. "ما كنت لأخلع قميصاً قمصنيه الله عز وجل"... "لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أنزع سربالاً سربلنيه الله عز وجل"**

"فلم تكن الخلافة عنده إذن تكليفاً تلقاه من المسلمين, ويستطيع أن يرده عليهم إن شاء هو أو شاؤا هم, وإنما كانت الخلافة عنده ثوباً أسبغه الله عليه, وليس له ان ينزعه عن نفسه, وليس لأحد غيره أن ينزعه عنه, وإنما الله وحده هو الذي يملك تجريده من هذا الثوب يوم يجرده من ثوب الحياة. وعذر عثمان في ذلك انه رأى صاحبيه من قبله قد نهضا بالخلافة, فلم تنزع عن أحدهما ما أقاما على الحياة. فهو إذن مثلهما قد نهض بالخلافة, ويجب ان يستمسك بها ما أمتدت له أسباب الحياة. وإذا كان هذا رايه في الخلافة وفيما تتيح له من سلطان, فليس غريباً أن يضيق بالذين يجادلونه في سلطانه, ويحاولون أن يكفوه عن بعض تصرفه في الإدارة أو السياسة أو المال, فهو ليس مسؤولاً أمام الناس وإنما هو مسؤول أمام الله"

"إن أبا بكر وعمر كانا يظلمان أنفسهما وقرابتهما تقربا إلى الله, وأنا أصل رحمي تقربا إلى الله"

(طه حسين – 190).

"وليس من شك في ان عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما أتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أمية. فعثمان هو الذي وسع على معاوية في الولاية فضم إليه فلسطين وحمص, وأنشأ له وحدة شامية بعيدة الأرجاء, وجمع له قيادة الأجناد الأربعة, فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين. ثم مد له في الولاية أثناء خلافته كلها

كما فعل عمر, وأطلق يده في أمور الشام أكثر مما أطلقها عمر. فلما كانت الفتنة نظر معاوية فإذا هو أبعد الأمراء بالولاية عهداً وأقواهم جندا وأملكهم لقلب رعيته"

(طه حسين، الفتنة الكبرى – عثمان – ص 120).

حصار عثمان ومقتله علامة فارقة كبرى في التاريخ الاسلامي فهي قد اشَّارَت إلى ان الخليفة خاضع للمحاسبة والعزل، حتى لو رأى هو عكس ذلك انتهى عثمان قتلاً بعد أن اسبشر الناس بخلافته كل الخير وفتح مقتله باب الخلاف والفتنة على مصراعيه, فتحت شعار محاسبة قتلته ثار طلحة والزبير وعائشة وحدثت واحدة من أبشع المواجهات وأكثرها غرابة في التاريخ العربي والإسلامي "موقعة الجمل"، وتحت شعار المطالبة بدم عثمان تمرد معاوية وحدثت صفين, وذهب ذكر قميص عثمان مذهب الأمثال في التراث العربي.

في خلافة عثمان وضعت بذور الجبرية، ووضعت أيضاً بذور الثورة والتغيير، والأهم أن الكثيرين قد غادروا المبادئ وبادلوها بالمصالح التي اقتضت اصطفافاً في مواقع الثورة تارة ومواقع السلطة طوراً آخر.

خلافة الإمام علي رضي الله عنه

مما قال حين بويع

دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان. لا تقوم له القلوب ولا تثْبُتُ عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت والمَحَجَّة قد تنكرت. واعلموا أني إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلمُ. ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب. **وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي اسمَعُكم وأطوَعُكم لمن وليتموه أمرَكم. وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم مني أميراً**. أن الله عز وجل انزل كتاباً هادياً بين الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض ادوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنه. ان الله حرم حرماً غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشدّ بالاخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فان الناس أمامكم وان ما من خلفكم الساعة تحدوكم. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس آخرهم. اتقوا الله في عباده وبلاده انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فدعوه، ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة الانفال: 26).

(الطبري ج5 ص21), نهج البلاغه ص 181-182.

إن صحَّت هذه الخطبة فإنها تضع نظرية الإمامة لدى الشيعة كتكليف إلهي وواجب شرعي في مأزق خطير، إذ كيف يكون الأمر تكليفاً إلهياً ثم يأتي أول الائمة وأهمهم على الاطلاق فيرفضه قائلاً دعوني والتمسوا غيري؟! ثم يكمل فيقول.. "وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم" ولعل التكلف الدنيوي والبيعة كمصدر للسلطة والإمامة لا تتجلى بوضوح أكثر مما يظهرها هذا النص.

فصل في مبايعة على – ﷺ – بالخلافة، وما نشأ عن ذلك، قال ابن سعد:

بويع علي بالخلافه الغد من قتل عثمان بالمدينة، فبايعه جميع من كان بها من الصحابه ﷺ، ويقال: إن طلحه والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكه وعائشه ﷺ بها، فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك علياً، فخرج إلى العراق، **فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، وهي وقعه الجمل،** وكانت في جمادى الآخر سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة، والزبير، وغيرهما، وبلغت القتلى ثلاثة عشر الفاً، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، **ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ عليا فسار اليه. فالتقوا بصفين** في صفر سنة سبع وثلاثين،

ودأم القتال بها أياماً، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدةً من عمرو بن العاص، فكره الناس الحرب، وتداعوا إلى الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحول بأذرح، فينظروا في أمر الأمة، فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام، وعلي إلى الكوفه، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: لا حكم إلا لله، وعسكروا بحروراء، فبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجَّهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان، فعرضوا للسبيل، فسار إليهم علي فقاتلهم بالنهروان، وقتل منهم دا الندية، وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن ابي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة، فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع عليا، وتكلم عمرو فأقر معاوية، وبايع له، فتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على أصبعه ويقول:

أعصى ويطاع معاوية؟!

(تاريخ الخلفاء للسيوطي 174).

يوم الجمل سنة 36 هـ

"لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق، كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، أقمن بمكة بعد ما خرجوا منها، ورجعوا إليها وأقاموا بها، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار.

فلما بويع لعلي وصار حظ الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي، لا عن اختيار منه لذلك, رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان مع أن علياً في نفس الأمر يكرههم، ولكنه تربص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه، وحجبوا عنه علية الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة، وتبعهم خلق كثير وجم غفير.

وكان علي لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه.

فقال: إنما أنا رجل من أهل المدينة، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة، وقدم إلى مكة ايضاً في هذا العام يعلى بن أمية من اليمن - وكان عاملاً عليها لعثمان - ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف

درهم، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة، وكان نائبها لعثمان، فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين.

(ج/ ص: 7/258)

فقامت عائشة ﷺ في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام، ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء وأخذوا الأموال، فاستجاب الناس لها، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة، وقالوا لها: حيثما ما سرت سرنا معك.

فقال قائل: نذهب إلى الشام.

فقال بعضهم: إن معاوية قد كفاكم أمرها، ولو قدموها لغلبوا، واجتمع الأمر كله لهم؛ لأن أكابر الصحابة معهم.

وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا.

وقال آخرون: بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك بالخيل والرجال، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان.

فاتفق الرأي على ذلك، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة.

فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك، وقلن لا نسير إلى غير المدينة، وجهز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر أيضاً بمال كثير.

وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة، وسار الناس صحبة عائشة في ألف فارس.

وقيل: تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة، وتلاحق بهم آخرون، فصاروا في ثلاثة آلاف، وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكر اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتي دينار، وقيل: بثمانين ديناراً، وقيل: غير ذلك.

وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك وبكين للوداع، وتباكى الناس، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب.

وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات، وقد مروا في مسيرهم ليلاً بماء يقال له الحوأب فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟

قالوا: الحوأب، فضربت بإحدى يديها على الأخرى، وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظنني إلا راجعة.

قالوا: ولم؟

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لنسائه: ((ليت شعري ايتكن التي تنبحها كلاب الحوأب)).

ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب.

وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في (دلائل النبوة) كما سبق، فأناخ الناس حولها يوماً وليلة.

وقال لها عبد الله بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب، ثم قال الناس: النجاة النجاة، هذا جيش علي بن أبي طالب قد أقبل، فارتحلوا نحو البصرة، فلما اقتربت من البصرة، كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس: أنها قد قدمت، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام.

(ج/ ص: 7/ 259).

وتلت قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (النساء:١١٤). فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة، فقالا له: ما أقدمك؟

فقال: الطلب بدم عثمان.

فقالا: ما بايعت علياً؟

قال: بلى والسيف على عنقي، ولا أستقبله إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان.

فذهبا إلى الزبير فقال: مثل ذلك.

قال: فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف، فقال أبو الأسود:

يا ابن الأحنف قد أتيت فانفر   وطاعن القوم وجالد واصبر

واخرج لهم مستلئماً وشمر *

فقال عثمان بن حنيف: إنا لله وإنا إليه راجعون دارت رحا الاسلام ورب الكعبة، فانظروا بأي زيفان نزيف.

(البداية والنهاية ج7 ابن كثير).

"واجتمع إلى علي من أهل الكوفة جمع واجتمع إلى عائشة وطلحة والزبير جمع، وسار بعضهم إلى بعض فالتقوا بمكان يقال له الخريبة في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ودعى علي الزبير إلى

الاجتماع به فاجتمع به فذكّره علي وقال: أتذكر يوماً مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إلِي فضحكت وضحك إلِيّ فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زَهوَه.

فقال لك رسول الله ﷺ: (إنه ليس بِمُزْه ولتقاتلنه وأنت ظالم له) فقال الزبير: اللهم نعم ولو ذكرته ما سرت مسيري هذا.

فقيل إنه اعتزل القتال، وقيل بل غيّره ولده عبد الله وقال: خفت من رايات ابن أبي طالب.

فقال الزبير إنِي حلفت أن لا أقاتله.

فقال له ابنه: كفرْ عن يمينك فعتق غلامه مكحولاً، وقاتل ووقع القتال وعائشة راكبة الجمل المسمى عسكر في هودج وقد صار كالقنفذ من النشاب وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله، وكلاهما كانا مع عائشة قيل إنه طلب بذلك أخذ ثار عثمان منه، لأنه نسبه إلى أنه أعان على قتل عثمان وانهزم الزبير طالباً المدينة وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة، وقتل ايضاً بين الفريقين خلق كثير ولما كثر القتل على خطام الجمل قال علي: اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل وأدخلها محمد بن أبي بكر أخوها إلى البصرة وأنزلها في دار عبد الله بن خلف وطاف علي على القتلى من أصحاب الجمل وصلى عليهم ودفنهم.

ولما رأى طلحة قتيلاً قال: إنا لله وإنا إِليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى أنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إِذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى عليه ولم ينقل عنه أنه صلى على قتلى الشام بصفين، ولما انصرف الزبير من وقعة الجمل طالباً المدينة مر بماء لبني تميم وبه الأحنف بن قيس فقيل للأحنف وكان معتزلاً القتال: هذا الزبير قد أقبل فقال: قد جمع بين هذين العارين يعني العسكرين وتركهم وأقبل وفي مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعي، فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبع الزبير حتى وجده بوادي السباع نائماً فقتله ثم أقبل برأسه إلى علي بن أبي طالب.

فقال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (بشروا قاتل الزبير بالنار).

قال عمرو بن جرموز المذكور لعنه الله: أتيت علياً برأس الزبير وقد كنت أحسبها زلفة فبشر بالنار قبل العيان فبئس البشارة والتحفه، وسيان عندي قتل الزبير وضَرطة عير بذي الجحفة، ثم أمر علي عائشة بالرجوع إلى المدينة وأن تقر في بيتها فسارت مستهل رجب من هذه السنة وشيعها الناس، وجهزها علي بما احتاجت إليه وسير معها أولاده

مسيرة يوم وتوجهت إلى مكة فأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة.

وقيل كانت عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف واستعمل علي على البصرة عبد الله بن العباس وسار على الكوفة فنزلها وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان، ولم يبق خارج عنه إلا الشام وفيه معاوية وأهل الشام مطيعون له فأرسل إليه علي جريرَ بن عبد الله البجلي ليأخذ البيعة على معاوية ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار".

تاريخ أبي الفداء

عائشة ترتبك وتخاف عندما تسمع نباح كلاب الحوأب متذكرة حديث الرسول ﷺ: ((ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب)) صارخة "ردوني ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب" والزبير ينوي العودة حين يُذكّرُ بحديث الرسول ﷺ له عن علي" لتقاتلنه وأنت ظالم له".

أما الإمام علي فهو كاره لكل هذه المواجهة، فكيف له أن يقاتل أم المؤمنين ومن بُشِّر قاتله بالنار!.

لربما كانت موقعة الجمل أول حرب اهلية في التاريخ الاسلامي أوأول حرب طرفاها مسلمان، لم ينكر أيهما اسلام الآخر ويبدو في هذه الوقعة الجميع مرتبك ومتردد ما عدا مروان بن الحكم.

لعل الدلالة الاهم ليوم الجمل هي أن السلطة في الاسلام أمر دنيوي وليس من أمور الدين إذ تقاتل اقوام وقتل بعضهم بعضاً ومنهم مبشرون بالجنة في المعسكرين, فلا يعقل ان يموت مبشر بالجنة وهو خارج عن الدين, لقد كان الأمر صراعاً سياسياً وليس دينياً.

يوم صفين سنة 37 هـ

"فسار علي من الكوفة إلى جهة معاوية وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة فقال علي رضي الله عنه: لأصبحن العاص وابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي مجنبين الخيل بالقلاص مستحقبين حلق الدلاص، وحدا بعلي نابغة بني جعد الشاعر فقال:

وقد علم المصران والعراق   أن علياً فحْلُها العتاقُ

أبيض جحجاح له رواقُ   إِن الأولى جاروك لا أفاقوا

لكم سباق ولهم سباق   قد سلمتْ ذلكم الرفاق

وسار عمرو ومعاوية من دمشق بأهل الشام إلى جهة علي وتأنى معاوية في مسيره حتى اجتمعت الجموع بصفين وخرجت سنة ست وثلاثين والأمر على ذلك.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

والجيشان بصفين ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال بل مراسلات يطول ذكرها لم ينتظم بها أمر ولما دخل صفر وقع بينهما القتال فيه وكانت بينهم وقعات كثيرة بصفين قيل كانت تسعين وقعة وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام، وكانت عدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً منهم ستة وعشرون رجلا من أهل بدر وكان علي قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدؤوا بالقتال، وأن لا يقتلوا دبراً وألا يأخذوا شيئاً من أموالهم وأن لا يكشفوا عورة.

قال معاوية أردت الانهزام بصفين فتذكرت قول ابن الإطنابة فثبت وكان جاهلياً والإطنابة مرة وهو قوله:

أبت لي همتي وحياء نفسي ... وإقدامي على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وقولي كلما جاشت وجاشت ... رويدك تحمدي أو تستريحي

وقاتل عمار بن ياسر ﷺ مع علي قتالاً عظيماً وكان قد نيف عمره على تسعين سنة وكانت الحربة في يده ترعد وقال: هذه راية قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ودعى بقدح من لبن فشرب منه ثم قال: صدق الله ورسوله: اليوم ألقى الأحبة

محمداً وحزبه قال رسول الله ﷺ: (إن آخر رزقي من الدنيا ضيحة لبن) والضيحُ: اللبن الرقيق الممزوج.

وروي أنه كان يرتجز:

نحـن قتلنـاكم علـى تأويلـه كمـا قتلنـاكم علـى تنزيلـه

ولم يزل عمار المذكور يقاتل حتى استشهد ﷺ وفي الصحيح المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: (يقتل عمار الفئة الباغية) قيل: إن الذي قتله أبو عادية برمح فسقط عمار فجاء آخر فاحتز رأسه أقبلا يختصمان إلى عمرو ومعاوية كل منهما يقول: أنا قتلته.

فقال عمرو: إنكما في النار فلما انصرفا قال معاوية لعمرو: ما رايت مثل ما رايت اليوم صرفت قوماً بذلوا أنفسهم دوننا.

فقال عمرو: هو والله ذلك والله إنك لتعلمه، ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة.

وبعد قتل عمار ﷺ انتدب علي اثني عشر ألفاً وحمل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وعلي يقول: أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاويه ثم نادى: يا معاوية علأم تقتل الناس ما بيننا، هلم أحاكمك إلى الله فاينا قتل صاحبه استقامت له الأمور.

فقال عمرو: أنصفك ابن عمك فقال معاوية: ما أنصف إِنك تعلم أنه لم يبرز إِليه أحد إِلا قتله.

فقال عمرو وما يحسن بك ترك مبارزته.

فقال معاوية: طمعتَ في الأمر بعدي.

ثم تقاتلوا ليلة الهرير شبهت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال إلى الصبح وقد روى أن علياً كبّر تلك الليلة أربعمائة تكبيرة، وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً كبّر، ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة.

وقاتل الأشتر قتالاً عظيماً حتى انتهى إلى معسكرهم وأمده علي بالرجال ولما رأى عمرو ذلك قال لمعاوية: هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم ففعلوا ذلك ولما رأى أهل العراق ذلك قالوا لعلي: لا نجيب إلى كتاب الله فقال علي: أمضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم فإِن عمراً ومعاوية وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم، ويحكم والله ما رفعوها إِلا خديعة ومكيدة.

فقالوا: لا تمنعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى.

فقال علي: إِني إِنما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله فإِنهم قد عصوا الله فيما أمرهم.

(تاريخ أبي الفداء).

"أمر الحكمين"

ولما انقضى الأجل وحان وقت الحكمين بعث علي أبا موسى الأشعري في أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم وأوصى شريحاً بموعظة عمرو. فلما سمعها قال متى كنت أقبل مشورة علي واعتد برايه. قال: وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين، وأساء الرد عليه فسكت عنه. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل فكان أصحاب عمرو أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس حتى لم يكونوا يسألونه عن كتاب معاوية إذا جاءه. ويسأل أهل العراق ابن عباس ويتهمونه. وحضر مع الحكمين عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يغوث الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص على خلاف فيه وقيل ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس. ولما اجتمع الحكمان قال عمرو لأبي موسى أما تعلم أن عثمان قتل مظلوماً وأن معاوية وقومه أولياؤه قال بلى! قال فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت وإن قصرت به السابقة قدمه حسن السياسة وإنه صهر رسول الله ﷺ وكاتبه والطالب بدم عثمان وعرض بالولاية. فقال له أبو موسى يا عمرو اتق الله واعلم إن هذا الأمر ليس بالشرف وإلا لكان لآل أبرهة بن الصباح إنما هو

بالدين والفضل مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأدع المهاجرين الأولين. وأما تعريضك بالولاية فلو خرج لي عثمان عن سلطانه ما وليته وما أرتشي في حكم الله. ثم دعاه إلى تولية عبد الله بن عمر. قال له عمرو: فما يمنعك من ابني وهو من علمت. فقال له رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة. **فقال عمرو: إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل له ضرس يأكل ويطعم** - وكانت في ابن عمر غفلة. وكان ابن الزبير بإزائه فنبهه لما قال. فقال ابن عمر لا أرشو عليها أبداً ثم قال أبو موسى يا ابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردهم في فتنة. قال له فخبرني ما **رأيك قال أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم**. فقال عمرو الرأي ما رأيت! ثم أقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في الكلام لما له من الصحبة والسن. فقال يا أبا موسى! أعلمهم أن راينا قد اتفق فقال: إنا راينا أمراً نرجو الله أن يصلح به الأمة فقال له ابن عباس: ويحك أظنه خدعك فاجعل له الكلام قبلك فأبى وقال: ايها الناس إنا نظرنا في أمر الأمة فلم نر أصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو أن نخلع علياً ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا وإني قد خلعتهما فولوا من أردتم ورأيتموه أهلاً. فقال عمرو: إن هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه، وأثبتّ معاوية فهو ولي ابن عفان وأحق الناس بمقامه. ثم عدا ابن عباس

وسعد على أبي موسى باللائمة، وقال ما أصنع غدرني ورجع باللائمة على عمرو وقال لا وفقك الله غدرت وفجرت. وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف وضربه ابن عمر كذلك. وحجز الناس بينهم فلحق أبو موسى بمكة، وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة. ورجع ابن عباس وشريح إلى علي بالخبر فكان يقنت إذا صلى الغداة ويقول: اللهم العن معاوية وعمرواً وحبيباً وعبد الرحمن بن مخلد والضحاك بن قيس والوليد وأبا الأعور. وبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت يلعن علياً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر.``

(تاريخ ابن خلدون).

"الشقشقية"

أما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. فَسَدلْتُ دونها ثوباً وطويت عنها كشْحاً. وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جَذاء أو أصبر على طخيةٍ عمياء يهرم فيها الكبير. ويشيب فيها الصغير. ويكدح فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هذا أحجى فصبرت وفي العين قذى. وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعدَه (ثم تمثل بقول الأعشى):

شتان ما يومي على كورها ويوم حيَّانَ أخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلُها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطَّرا ضرعيها فصيرها في حوزةٍ خشناء يغلظ كلامها ويخشُنُ مسُها. ويكثر العثارُ فيها. والاعتذار منها، فصاحبها كراكِب الصعبة إن أشنَق لها خرَم. وإن أسلس لها تقحَّم فمُنِيَ الناس لعمرُ الله بخبطٍ وشماسٍ وتلونٍ واعتراضٍ. فصبرت على طول المدةِ وشدةِ المحنة. حتى إذا مضى لسبيله. جعلها في جماعةٍ زعم أني أحدُهم فيالله وللشورى متى أُعْتَرَضَ الرَّيْبُ فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر لكني أسفَفْت إذا أسفُّوا وطرت إذ طاروا. فصغى رجل منهم لضِغنِه ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ إلى أن قام ثالث القوم نافجًا حضنيه بين نثيله ومعْتَلَفِه. وقام معه بنو أبيه يخضِمون مال الله خضمه الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتْلُهُ. وأجهز عليه عمله وكبتْ به بطنتُهُ فمارا عنى إلا والناس كعرف الضَّبع إلى ينثالون على من كل جانب. حتى لقد وُطئَ الحسنان. وشُقَّ عِطفاى مجتمعين حولى كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص:٨٣). بلى والله لقد سمعوها ووعوها. ولكنهم حَلِيت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرِجُها. أما والذي فلق الحبه. وبرأ النّسمه لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر. وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارُّوا على كِظَّةِ ظالم ولا

سغب مظلومٍ لا لقيت حبلَها على غاربِها ولسقيتُ أخرها بكأس أولها. ولألفيتم دنياكم هذه أزهدَ عندي من عفطة عنز (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه هذا الموضع من خطبته فنأوله كتاباً فأقبل ينظر فيه. قال له ابن عباس ﷺ. يا أمير المؤمنين لو أطْرَدت خطبتك من حيث أفضيت. فقال هيهات ياابن عباس تلك شِقْشِقه هَدَرت ثم قرت. قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد (قوله كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم) يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها وإن ارخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها. يقال أشنق الناقه غذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها ايضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق. وإنما قال أشنق لها ولم يقل اشنقها لأنه جعله في مقابله قوله أسلس لها فكأنه عليه السلام قال إن رفع لها راسها بمعنى أمسكته عليها.

خطبة توضيحية جامعة لعلي

قال: فقال حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن وهب الراسبي، فدخلوا على علي فسألوه عن ابي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ وقالوا بين لنا قولك فيهما وفي عثمان. قال علي كرم الله وجهه: وقد تفرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتي فيها قد قتلت؟ اني

مخرج اليكم كتاباً انبئكم فيه ما سألتموني عنه، فاقرأوه على شيعتي.
فاخرج اليهم كتابا فيه:

أما بعد، فان الله بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل وشهيداً على هذه الأمة وأنتم يا معشر العرب على غير دين وفي شر دار: تسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون بالباطل. فمن الله عليكم فبعث محمداً اليكم بلسانكم فكنتم انتم المؤمنون، وكان الرسول ﷺ فيكم ومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة الأرحام، وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وان توفوا بالعقود وان تعاطفوا وتباروا وتراحموا، ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغي، وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان وتقدم اليكم في ما انزل عليكم لا تزنوا ولا تاكلوا أموال اليتامى ظلماً فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه، وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله ﷺ مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضي عمله، مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله.

فلما مضى تنازع المسلمون الأمر بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي ان العرب تعدل هذا الأمر عني **فما راعني الا اقبال الناس على ابي بكر، وجفالهم عليه فأمسكت يدي**، ورايت اني احق بمقام محمد في الناس ممن تولى الأمور علي، فلبثت بذلك ما

شاء الله حتى رايت راية من الناس رجعت عن الاسلام يدعون إلى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى في الاسلام ثلما وهدما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولاية أمركم التى إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب. **فمشيت عند ذلك إلى ابي بكر فبايعته ونهضت معه في تلك الاحداث حتى زهق الباطل** وكانت كلمة الله هي العليا وأن يرغم الكافرون.

فتولى ابو بكر ﷺ تلك الأمور فيسر، وسدد، وقارب، واقتصد، فصحبته مناصحاً، واطعته في ما اطاع الله فيه جاهداً **فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا واطعنا، وبايعنا وناصحنا**. فتولى تلك الأمور فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة أيام حياته فلما احتضر قلت في نفسي: ليس يصرف هذا الأمر عنى **فجعلها عمر شورى وجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم باكره منهم لولايتي** لانهم كانوا يسمعون وأنا احاجج ابا بكر فاقول: (يا معشر قريش، انا احق الأمر منكم)، فخشوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم في هذا الأمر نصيب فبايعوا اجماع رجل واحد حتى صرفوا الأمر عني لعثمان، فأخرجوني منها رجاء ان يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها، ثم قالوا لي: (هلم فبايع عثمان، والا جاهدناك)-. وقال قائلهم: إنك يا ابن أبي طالب على الأمر لحريص قلت لهم: أنتم أحرص. **لقد طلبت ميراث ابن أبي**

وحقه، وانتم دخلتم بيني وبينه وتضربون وجهي دونه اللهم اني استعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وفضلي، واجتمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثم قالوا: اصبر كمداً، وعش متأسفاً.

فنظرت فاذا ليس معي رفاق ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم على الهلاك فاغضبت عيني على القذى وتجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر العلقم طعماً وآلم للقلب من حز الحديد. حتى اذا نقمتم على عثمان اتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني تبايعونني فابيت عليكم وابيتم علي فنازعتموني ودافعتموني ولم أمد يدي، تمنعاً عنكم. ثم ازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض وانكم قاتلي. وقلتم: لا نجد غيرك ولا نرضى الا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس إلى بيعتي فمن بايع طائعا قبلت منه ومن أبى تركته. فأول من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما اكرهتهما، كما لم اكره غيرهما فما لبثا الا يسيرا حتى قيل لي: قد خرجا متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة فقاموا على عمالي بالبصرة وخزائن بيوت أموالي وعلى أهل مصري، وكلهم في طاعتي وعلى شيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا علي جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبرا، وطائفة عصرا باسيفهم فضاربوهم حتى لقوا الله صابرين محتسبين فوالله

لو لم يصيبوا منهم الا رجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل لي بـذلك قتـل الجيش كله، مع أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة الـتي دخلـوا عليهم بها فقد غدال الله منهم فبعدوا للقول الظالمين.

ثم اني نظرت بعد ذلك في اهل الشام فاذا هم اعـراب واحـزاب واهل طمع جفاة طعام، تجمعـوا مـن كـل أوب ممـن ينبغـي ان يـؤدب ويولى عليه، ويؤخذ على يديه ليسوا من المهـاجرين والأنـصار ولا مـن التابعين بإحسان، فسرت إليهم ودعوتهم إلى الجماعة والطاعة، فأبوا إلا شقاقاً ونفاقاً، ونهضوا في وجوه المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان، ينصحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهنالك نهـضت الـيهم فقـاتلتهم فلما عضهم السلاح، ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإنما رفعوها الـيكم خديعة ومكيدة، فأمضوا على قتالهم فاتهمتوني وقلتم: اقبل منهم فانهم ان أجابوا إلى ما في الكتاب والسنة، جامعونا على ما نحن عليه من الحق وان أبوا كان اعظم لحجتنا عليهم فقبلت مـنهم وخففـت عـنهم وكـان صلحاً بينكم وبينهم على رجلين حكمين يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أمات القرآن فاختلفوا رأيهما وتفرق حكمهمـا ونبـذا حكـم القـرآن وخالفا ما في الكتاب واتبعا هواهمـا بغـير هـدى مـن الله فجنبهمـا الله السداد واهوى بهما في غمرة الضلال، وكانا أهل ذلـك فانخـذلت عنـا فرقة منهم فتركنـاهم مـا تركونـا، حتـى اذا عـاثوا في الارض مفـسدين

وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا فقالوا: كلنا قتلتهم وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم. وشدت علينا خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصارع، ثم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فانه افزع لقلوبهم وانهك لمكرهم، واهتك لكيدهم فقلتم: كلت اذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت اسنة رماحنا فائذن لنا فلنرجع حتى نستعد باحسن عدتنا، واذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبلتم، حتى إذا اطلتم على الكوفة أمرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة أولادكم ونسائكم، فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم، وان أصحاب الحرب لا يتوجدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من ظمأ نهاركم، ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بثأرهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم.

فنزلت طائفة منكم معي معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معي صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد الي، ولقد نظرت إلى عسكري وما فيه معي منكم الا خمسون رجلاً فلما رايت ما اتيتم دخلت اليكم فما قدرتم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا.

لله اباؤكم! فما تنتظرون؟ ما ترون إلى اطرافكم قد انتقصت وإلى مصركم قد افتتح؟ فما بالكم تؤمنون؟ ألا إن القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وانكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم فأنتم ان

اجتمعتم تسعدوا فأيقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرزوا لحرب عدوكم إنما **تقاتلون الطلقاء وابناء الطلقاء ممن اسلم كرهاً** وكان لرسول الله ﷺ حرباً اعداء السنة والقران واهل الاحزاب والبدع والاحداث، ومن كانت بوائقه تتقى وكان عن الدين منحرفاً واكله الرشا عبيد الدنيا.

لقد نمي إليّ أن ابن الباغية لمبايع معاوية حتى شرط عليه ان يؤتيه اتأوة هي اعظم ما في يديه من سلطانه. فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا! وتربت يد هذا المشتري نصره غادر فاسق بأموال الناس! وان منهم لمن شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام. فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساوية منهم شر وأضر، وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجيران، والتطاول بالغضب والفساد في الارض ولاتبعوا الهوى وحكموا بالرشا وانتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم واهدى سبيلاً فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء، وحملة القرآن والمتهجدون بالاسحار والعباد والزهاد في الدنيا وعمار المساجد واهل تلاوة القران أفلا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والارذال والاشرار منكم!

اسمعوا قولي اذا قلت واطيعوا أمري اذا أمرت واعرفوا نصيحتي اذا نصحت واعتقدوا جزمي اذا جزمت والتزموا عزمي إذا عزمت وانهضوا لنهوضي، وقارعوا من قارعت ولئن عصيتموني لا ترشدوا ولا تجتمعوا، خذوا للحرب اهبتها واعدوا لها التهيؤ فانها قد وقدت

نارها وعلا سناها وتجرد لكم فيها الظالمون كيما يطفئوا نور الله ويقهروكم عباد الله، الا انه ليس لأولياء الشيطان من اهل الطمع والجفاء بأولى في الجد في غيهم وضلالهم وباطلهم من أهل النزاهة والحق والإخبات بالجد في حقهم وطاعة ربهم ومناصحة أمامهم اني والله لو لقبتهم وحيداً منفرداً وهم في اهل الارض إن باليت بهم أو استوحشت منهم اني في ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربى واني للقاء لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج **ولكن اسفا يعتريني وجزعاً يريبني من ان يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا، والقاسطين حزبا**. وايم الله لولا ذلك ما اكترث تاليبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم فوالله اني لعلى الحق واني للشهادة لمحب، أنا نافر بكم إن شاء الله فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ان الله مع الصابرين!

(الإمامة والسياسة ج1 ص216).

في هذه الخطبة يجمل الإمام علي تسلسل الاحداث وطبيعة موقفه على النحو التالي

توفي الرسول ﷺ

فلما مضى تنازع المسلمون الأمر بعده

فما راعني إلا اقبال الناس على ابي بكر، وجفالهم عليه فأمسكت يدي

لقد طلبت ميراث ابن ابي وحقه.........ثم حدثت الردة

فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت معه في تلك الاحداث حتى زهق الباطل.

فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا، وبايعنا وناصحنا

فجعلها عمر شورى وجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم باكره منهم لولايتي

حتى إذا نقمتم على عثمان اتيتموه فقتلتموه

ثم جئتموني تبايعونني فابيت عليكم وأبيتم عليّ

فبايعتكم ودعوتم الناس إلى بيعتي فمن بايع طائعا قبلت منه ومن ابى تركته.

وبعد ذلك يتحدث عن حربه مع اهل الجمل وصفين إلى أن يصل إلى النتيجة بأنه يلي هذه الأمه سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولاً والصالحين حرباً، والقاسطين حزباً.

مبايعة الإمام علي لأبي بكر ولعمر من بعده ولعثمان من بعد عمر تدحض إلى حد كبير نظرية الشيعة في الإمامة بان الإمامة تكليف الهي , حيث لم يكن للإمام علي نفسه مثل هذا الادعاء , إذ كيف له

ان يتنازل عنه لغيره إن كان تكليفًا الهيًا أومن صميم الدين والايمان بل انه في حروب الردة قد رآى ان وحدة المسلمين اهم من الحكم والولاية كما انه تمنع عنه بعد مقتل عثمان ومبايعته.

مقتل علي سنة 40 هـ

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادى، والبرك ابن عبدالله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن ابي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فاستيقظ علي سحراً، فقال لابنه الحسن: رايت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيرا لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني، ودخل ابن الذباح المؤذن على علي، فقال: الصلاة/ فخرج علي من الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة/ فاعترضه ابن ملجم، فضر به بالسيف،

فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق، وأقام علي الجمعه والسبت، وتوفي ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الأمارة بالكوفه ليلاً، ثم قطعت أطراف ابن ملجم، وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار.

(السيوطي 174).

وأخرج البزار وابو يعلي والحاكم عن علي، قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: "يا علي إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به" ألا وإنه يهلك فيّ اثنان: محب مفرط يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض مفتر يحمله شناني على أن ينتهي.

(السيوطي 173).

بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية

ولما قتل علي رضي الله عنه

اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن، وأول من بايعه قيس بن سعد وقال: أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله. ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت. فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد

القتال. وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع الخلافة ودعي بأمير المؤمنين وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين..... فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً وقيل بل كان عبد الله بن عباس على المقدمة وقيس في طلائعه. فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض وجاؤوا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الني كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذه. وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن. ودخل إلى القصر وكاد أمره أن **ينحل فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة، ومبلغ خمسة آلاف ألف ويعطيه خراج دار الجرد من فارس وأن لا يشتم علياً** وهو يسمع. وأخبر بذلك أخاه الحسين وعبد الله بن جعفر وعذلاه فلم يرجع إليهما. وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة. فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال: هو الذي طلبت ثم نزعه أهل البصرة خراج دار الجرد وقالوا: هو فيئنا لا نعطيه. وخطب الحسن أهل العراق **وقال سخي نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي** ثم قال ألا وقد

أصبحتم بين قبيلتين قبيل بصفين يبكون له، وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره. وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر. **وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبي السيوف وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى**. فناداه الناس من كل جانب البقية الباقية فأمضي الصلح. ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس. وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: **نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة** فقال له الناس: طاعة الإمام أولى. وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وأمتنع قيس وانصرف. فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيباً ليبدو للناس عيه فلما قدم حمد الله وقال: **ايها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة، وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه:** ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ (الأنبياء: ١١١). فقال له معاوية: إجلس وعرف أنه خدع في رايه. ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيماً بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين. وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة إحدى وخمسين على فراشه بالمدينة. وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك. وأقام قيس

بن سعد على امتناعه من البيعة وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه، فلقيه ليلاً وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة. وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل مالاً فأعطاه معاوية ذلك لك وبايعه قيس والشيعة الذين معه. ثم جاء سعد بن أبي وقاص فبايعه **واستقر الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته، وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك.** ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من أفراد الأخبار عن الدول أهل النحل دولة دولة وطائفةً طائفة. وهذا آخر الكلام في الخلافة الاسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها، ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رايناه في ذلك وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة وخيارهم وعدولهم من الصحابة ﷺ التابعين. فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها

مطاعن وشَبُه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء، فلا ينبغي أن تسود بها العيون. وأبعتها بمفردات من غير كتاب الطبري بعد أن تخيرت الصحيح جهد الطاقة وإذا ذكرت شيئاً في الأغلب نسبته إلى قائله. وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة، ولا ينظر في ذلك إلى حديث: الخلافة بعدي ثلاثون فإنه لم يصح. والحق إن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين: الأول: **إن الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدمناه من العصبية التي حدثت لعصره وأما قبل ذلك فكانت اختياراً واجتماعاً فميزوا بين الحالتين. فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية** الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض وحاشى لله أن يشبه معاوية بأحد ممن بعده. فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس. ولا يقال: إن الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكاً. واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هي الجبروتية والمعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية، حين رأى ظواهرها وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين، وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل. ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا وإنما ساقه

أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدولة كلها، وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستعمل العصبية وتدعو لطبيعة الملك. وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استعمال أحكامه ودواعيه. والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا بالواهي. فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي ﷺ في المسلمين، ومن خرجت أفعاله من ذلك فهو ن ملوك الدنيا. وإن سمي خليفة في المجاز.

``تاريخ ابن خلدون الجزء الثاني

يبدو ان اللإمام الحسن كان يعاني معاناة مريرة من أصحابه، لا أدل عليها من قوله **سخي نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي** وذلك توطئة لتنازل وصلح **ليس فيه عز ولا نصفة** ولعل ذلك كان حلاً حكيماً من طرفه، نظراً لتقاعس جماعته وربما كان الأمر تنازلاً تكتيكياً من طرفه كما قد يشتم من قوله **أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه:** ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ (الأنبياء: ١١١). الأمر الذي قد يكون وراء اتهام معاوية بقتله فيما بعد.

ولا بفوتنا أن نشير إلى ملاحظة ابن خلدون أنه بحكم معاوية تحول الأمر إلى مغالبة بعد أن كان اختياراً.

حكم معاوية بن أبي سفيان

من خطب معاوية بن ابي سفيان

خطبته بالمدينة عام الجماعة

قدم معاوية المدينة عام الجماعة (سنه 41 هـ) فتلقاه رجال قريش فقالوا الحمدلله الذي أعز نصرك وأعلى كعبك، فما رد عليهم شيئاً حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه، ثم قال:

(أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن ابي قحافة واردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفارا شديدا واردتها على سنيات عثمان، فأبت علي فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنه ومشاربة جميلة فإن لم تجدوني خيركم فاني خير لكم ولاية، والله لا احمل السيف على من لا سيف له. وان لم يكن منكم الا ما يستشفي بها لقائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر اذني تحت قدمي وان لم تجدوني اقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه فان اتاكم مني خير فاقبلوه، فان السيل إذا جاد يثري، وإذا قل اغنى وإياكم والفتنة فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة)) ثم نزل.

(ناصيف).

قال المدائني قال معاوية: **لا اضع لساني حيث يكفيني مالي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي فإذا لم أجد من السيف بدا ركبته.**

(الأمويون والخلافة ص/ 86)

..... **ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.**

العقد الفريد

سياسة واضحة وعملية، فصوت الناس إما أن يشترى بالمال أو يكبت بالقوة والتهديد أو يخمد بالموت فلا مجال عن الرضى هنا وانما عن القبول.

ولمزيد من فهم السياسة السفيانية لنلقي نظرة على خطبة زياد ابن أبيه أو زياد بن سمية أو زياد بن أبي سفيان، أحد أذكى ولاة معاوية ان لم يكن أذكاهم وانجحهم.

خطبة زياد بن ابي سفيان بالبصرة (البتراء):

قال ابو الحسن المدائني: ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب، وعن ابي بكر الهذلي قالا: قدم زياد البصرة والياً لمعاوية بن ابي سفيان وضم اليه خراسان وسجستان والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر، قالا: فخطب خطبة البتراء لم يحمد الله فيها، وقال غيرهما: بل قال:

الحمد الله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما زدتنا نعما فاهما شكراً.

أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفي باهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيه الصغير ولا يتحاشى بها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول, اتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله؟ ما هذه المواخير المنصوبة، والضعيف المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير القليل؟ الم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار؟ قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس كل أمرئ منكم يذب عن سفيه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً.

ما انتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام، ثم اطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً.

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف وشدة في غير عنف. واني اقسم بالله لآخذن الولي بالمولي والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول: انج سعد، فقد هلك سعيد، أو تستقيم قناتكم.

أيها الناس: إنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا، ولكم العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو اتاني طارقا بليل ولا حابساً عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثاً فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم، أسال الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل أمرئ منكم أن يكون من صرعاي.

(البيان والتبيين) ص-242-244.

يستعرض في البداية ما يعتبره معاصي العراقيين, ثم يلجأ للتهديد حتى تستقيم قناتهم وبعد ذلك يحدد بأنه"

نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا فلا حول لكم ولا قوة ولا اختيار.

ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا كما ان الله فوضنا في الأموال وانفاقها.

فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا.. فيما أحببنا اي دون شروط منكم نحن من يحدد حدود السمع والطاعة وفيم تكون

ولكم العدل فيما ولينا هذا العدل والفيء ليس سهلاً أو مجانياً عليكم أن تستوجبوه؟

التوريث

معاوية يناقش العبادلة في أمر البيعة ليزيد

قال: قالوا: فاستخار الله معاوية واعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين، فتلقاه الناس فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر.

فلما جلسوا تكلم معاوية، فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما انعم علينا كثيراً واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، أما بعد فاني قد كبر سني ووهن عظمي وقرب اجلي وأوشكت ان ادعى فأجيب وقد رايت أن استخلف عليكم بعدي يزيد ورايته لكم رضا وانتم عبادلة قريش وخيارها وابناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حَسناً وحُسيناً الا انهما أولاد أبيهما علي على حسن رايي فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً رحمكم الله.

قال: فتكلم عبد الله بن عباس. فقال: الحمد الله الذي ألهمنا أن نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه، وحسن بلائه، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وصلى الله على محمد وال محمد أما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا، وقلت فسمعنا

وان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه اختار محمداً ﷺ لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه **فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالأمر أخصهم به** وانما على الأمة التسليم لنبيها إذ اختاره الله لها، فانه لما اختار محمدا بعلمه وهو العليم الخبير واستغفر الله لي ولكم.

قال: فقام عبد الله بن جعفر. فقال: الحمد الله اهل الحمد ومنتهاه نحمده على الهأمنا حمده ونرغب اليه في تادية حقه، وأشهد أن لا إله إلا الله واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ًوان محمداً عبده ورسوله ﷺ أما **بعد فان هذه الخلافة ان اخذ فيها بالقرآن فأولو الارحام، فأولو رسول الله، وان اخذ فيها بسنة الشيخين ابي بكر وعمر فاي الناس افضل واكمل واحق بهذا الأمر من آل الرسول ﷺ؟** وايم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه ولأطيع الرحمن، وعُصي الشيطان وما اختلف في الأمة، سيفان فاتق الله يا معاوية فانك قد صرت راعيا ونحن رعية، فانظر لرعيتك فانك مسؤول عنها غدا وأما ما ذكرت من ابني عمي وتركك ان تحضرهما فوالله ما اصبت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم انهما معدن العلم والكرم، فقل أودع واستغفر لي الله ولكم.

قال: فتكلم عبد الله بن الزبير، فقال: الحمد لله الذي عرفنا دينه، واكرمنا برسوله، أحمده على ما أبلى وأولى وأشهد أن لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله، أما **بعد فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها**

بمآثرها السنيه وأفعالها المرضية مع شرف آباء وكرم الأبناء. فاتق الله يـا معاوية وانصف من نفسك فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسـول الله وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، ابن عم رسول الله وانا عبـد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله ﷺ.

وعلي خلف حسناً وحسيناً، وأنت تعلم من هما وما همـا فـاتق الله يا معاوية، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك ثم سكت.

فتكلم عبـد الله بـن عمـر، فقـال: الحمـد لله الـذي اكرمنـا بدينـه وشرفنا بنبيه ﷺ أما بعد فان هذه الخلافة ليـست بهرقليـة ولا قيـصرية ولا كسرية يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو كان كذلك كنت القائم بهـا بعد ابي فوالله ما ادخلني مع الستة من اصحاب الـشورى الا علـى ان الخلافة ليست شرطاً مشروطاً، وانما هي في قريش خاصة لمن كـان لهـا اهلا ممن ارتضاه المسلمون لانفسهم: من كان اتقى وارضى، فان كنـت تريد الفتيان من قريش فلعمري ان يزيد من فتيانها واعلم انـه لا يغـني عنك من الله شيئاً.

فتكلم معاوية فقال: قد قلـت وقلـتم وإنـه ذهـب الآبـاء وبقيـت الأبناء، فإبني أحب إليّ من أبنائهم، مع أن ابني ان قومتموه وجد مقـالا وانما كان هذا الأمر لبني عبد مناف؛ لانهم أهل رسول الله فلمـا مـضى رسول الله ﷺ ولى الناس ابـا بكـر وعمـر مـن غـير معـدن الملـك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة، ثم رجع الملك إلى بـني عبـد منـاف

فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة، وقد اخرجك الله يا ابن الزبير وانـت يـا ابن عمر منها فأما ابناء عمي هذان فليسا بخارجين مـن الـرأي إن شـاء الله. ثم أمر بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد، ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم واعطياتهم، ثـم انـصرف راجعـاً إلى الـشام وسـكت عـن البيعة فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين.

يعكس هذا الحوار مواقف جميع الاطـراف الحقيقيـة فـابن عبـاس وابن جعفر يعاودان الاصرار على فكرة أحقية آل البيت، في حين يـصر ابن عمر على الموقف القرشي أما معاوية فيلجـأ لمواجهـة هـذه الجبهـة بفكرة أبناء عبد مناف.

بيعة يزيد

انا اعلم بقريش من قريش

لما قدم معاوية المدينة منصرفاً من مكة بعـث إلى الحـسن والحـسين وعبدالله بن جعفر وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بـن صفوان بن أمية بهدايا مـن كـسا وطيـب وصـلات مـن المـال ثـم قـال لرسله: ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد.

فلما خرج الرسل من عنده قال لمن حضر: إن شـئتم انبأنـاكم بمـا يكون من القوم قالوا: أخبرنا يا أمير المـؤمنين قـال: أمـا الحـسن فلعلـه ينيل نساءه شيئاً من الطيب، وينهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائبـاً

وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع ابيه بصفين فـإن بقـي شـيء نحربـه الجزر ويقى به اللبن.

وأما عبدالله بن جعفر فيقول: يا بديح اقـض بـه دينـى فـإن بقـي شيء فانفذ به عداتى.

وأما عبدالله بن عمر فيبدأ بفقراء عدى بن كعب فـإن بقـي شـيء ادخره لنفسه ومان به عياله.

وأما عبدالله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح فلا يلتفت اليه ثم يعاوده الرسول ﷺ فيقول لبعض كفاته: خذوا مـن رسـول معاويـة مـا بعث به وصله الله وجزاه خيراً لا يلتفت اليها وهي أعظم في عينيه مـن أحد ثم ينصرف إلى أهله فيعرضها على عينه ويقول: ارفعوا لعلى اعود بها ابن هند يوماً ما.

وأما عبدالله بن صفوان فيقول: قليل من كثير وما كـل رجـل مـن قريش وصل اليه كهذا ردوا عليه، فإن رد قبلناها.

فرجع رسله من عندهم بنحو مما قاله معاوية فقال معاوية: **انا ابن هندا أعلم بقريش من قريش.**

(قصص العرب / 352-353).

يلفت النظر في هذه القصة أمران:

الأول أنها تدلل على حنكة معاوية ومعرفته بأعدائه وربما الدراسة العملية لنفسياتهم.

الثاني التذكير بأنه ابن هند لائكة كبد حمزة عم الرسول ﷺ وأعدى اعدائه.

ذكر عهد معاوية لابنه يزيد

وكان عهده الذي عهد ما ذكر هشام بن محمد عن ابى مخنف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه فقال: **يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الاشياء وذللت لك الاعداء (الاعزاء) واخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد وإني لا اتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن ابي بكر، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فان أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك فظفرت به، فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقا عظيما وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همة الا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد، ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا.**

(تاريخ الطبري / 146).

في البيعة ليزيد بن معاوية

كتب معاوية إلى سائر الأمصار ان يفدوا عليه فوفد من كل مصر قوم ثم جلس في اصحابه واذن للوفود فدخلوا، وقد تقدم إلى أصحابه ان يقولوا في يزيد.

فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين: انه لا بد للناس من بعدك والانفس يغدى عليها ويراح وان الله قال: ((كل يوم هو في شأن)) ولا تدري ما يختلف به العصران ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن معدنه وقصد سيرته من افضلنا حلما واحكمنا **علما فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك، فانا قد بلونا الجماعة والألفية فوجدناها أحقن للدماء وأمن للسبل خيرا في العاقبة والاجلة.**

ثم تكلم عمر بن سعيد فقال: أيها الناس ان يزيد أمل تأملونه واجل تأمنونه طويل الباع رحب الذراع إذا صرتم إلى عدله وسعكم وان طلبتم رفده أغناكم جذع قارح سوبق فسيق وموجد فمجد وقورع فقرع خلف من أمير المؤمنين ولا خلف منه، فقال: اجلس أبا أمية فلقد أوسعت وأحسنت.

ثم قام يزيد بن المقفع فقال: **أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فان هلك فهذا، وأشار إلى يزيد فمن ابى فهذا واشار إلى سيفه** فقال معاوية: اجلس فانك سيد الخطباء.

ثم تكلم الاحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه، فان كنت تعلمه لله رضا ولهذه الأمة فلا تشاور الناس وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزيده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة ثم بايع الناس ليزيد.

ولما استقام الأمر لمعاوية بالشام والعراق ببيعة يزيد كتب إلى مروان بن الحكم عامله على المدينه: أن ادع أهل المدينه إلى بيعة يزيد فان اهل الشام والعراق قد بايعوا فقرأ كتابه وقال: ((ان أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودق عظمه، وقد خاف أن يأتيه أمر الله تعالى فيدع الناس كالغنم لا راعي لها فاحب ان يعلم علماً ويقيم إماماً)). فقالوا: وفق الله المؤمنين وسدده ليفعل.

فكتب بذلك إلى معاوية فكتب اليه: ان سم يزيد فقرأ الكتاب عليهم وسمى يزيد، وقال: **سنة أبي بكر الهادية المهدية**، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر ترك الأهل والعشيرة وبايع لرجل من بنى عدى رضى دينه وأمانته واختاره لأمة محمد ﷺ كذبت والله يا مروان، وكذب معاوية معك! **لا يكون ذلك لا تحدثوا علينا سنة الروم كلما هرقل قام مكانه هرقل**,

فقال مروان: أيها الناس ان هذا المتكلم هو الذي انزل الله فيه: ((والذى قال لوالديه أف لكما! اتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ((فقال عبد الرحمن: يا بن الزرقاء؛ أفينا تتاول القرآن وتكلم

الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وانكروا بيعة يزيد وتفرق الناس فكتب مروان إلى معاوية بذلك. ولما علم معاوية خرج إلى المدينة في الف وحينما قرب منها تلقاه الناس فلما نظر إلى الحسين قال: مرحبا بسيد شباب المسلمين قربوا دابة لأبى عبدالله. وقال لعبد الرحمن بن ابى بكر: مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق وقال لابن عمر: مرحبا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وقال لابن الزبير: مرحبا بابن حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، ودعاهم بدواب فحملهم عليها وخرج حتى أتى مكة فقضى حجة.

ولما أراد الشخوص أمر باثقاله فقدمت وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة وارسل إلى الحسين وعبدالرحمن بن ابي بكر وابن عمر وابن الزبير فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير: اكفنا كلامه فقال: على ألا تخالفوني؟ قالوا: لك ذلك.

ثم أتوا معاوية فرحب بهم وقال لهم: قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم وصلتي ارحامكم ويزيد اخوكم وابن عمكم وإنما أردت أن اقدمه باسم الخلافة وتكونوا انتم تأمرون وتنهون فسكتوا. وتكلم ابن الزبير فقال: نخيرك بين إحدى ثلاث: أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار: **ان شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله ﷺ؛ قبضه الله ولم يستخلف فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لانفسهم، وإن شئت فما صنع ابو بكر عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن**

رهطه الادنين من كل لها اهلا، وإن شئت فما صنع عمر صبرها إلى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده واهل بيته، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا.

قال معاوية: هل غير هذا؟ قال: لا. ثم قال للاخرين: ما عندكم؟ قالوا نحن على ما قال ابن الزبير! فقال معاوية: **اني اتقدم اليكم وقد أعذر من أنذر! اني قائل مقالة. فاقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامي هذا الا ترجع اليه كلمته حتى يضرب رأسه! وأمر أن يقوم على راس كل رجل منهم رجلان بسيفهما. فان تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه.**

وخرج واخرجهم معه حتى رقي المنبر وحف به اهل الشام واجتمع الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وقالوا: إن حسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد وهؤلاء الرهط سادة المسلمون وخيارهم، لا نبرم أمرا دونهم ولا نقضي الا على مشورتهم واني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين فبايعوا وسلموا وأطاعوا.

فقال أهل الشام: وما يعظم من أمر هؤلاء؟ ائذن لنا فنضرب أعناقهم ترضى حتى يبايعوا علانية. فقال معاوية: سبحان الله! ما اسرع الناس إلى قريش بالشر واحلى دماءهم عندهم! انصتوا فلا اسمع هذه المقالة من احد. ودعا فقال الناس للحسين واصحابه: قلتم لا نبايع

فلما دعيتم وأرضيتم بايعتم قالوا: لم نفعل. قالوا: بلى. فعلتم وبايعتم افلا انكرتم! قالوا: خفنا القتل وكاد بنا وكاد بكم.

بدأت بيعة يزيد بالشورى والاستمزاج واعتبارها من سنة ابي بكر في الاستخلاف، وانتهت بالسيوف على الرقاب

طبيعة حكم معاوية

في نص معاوية نلاحظ اختلافاً جوهرياً عما قبله فهو يقر بالقوة كوسيلة لوصول الخلافة إليه بغض النظر عن محبة الناس أو موافقتهم **(فاني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي جالدتكم بسيفي هذا مجالدة)**

الا انه ورغم ذلك يختط طريق المصلحة المشتركة وسيلة للتراضي وربما وسيلة لقبول الأمر الواقع

(فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنه ومشاربة جميلة)

على خلفية من إمكانية القهر واستخدام القوة ان لزم الأمر أو ان اعيته السبل مع المعارضين.

لا أضع لساني حيث يكفيني مالي

ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني

ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي

فأذا لم أجد من السيف بدا ركبته.

ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً. فقيل لـه: وكيـف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

وغني عن القول كيف ذهبت شعرة معاوية مـثلاً في التـاريخ يعـني المرونة والسياسة والدهاء.

ولعل نص زياد بن ابيـه يعـبر تعـبيراً واضـحاً عـن طبيعـة حكـم معاوية ,فهذا الرجل الذي تقلـب بـين المعـسكرات وخبرهـا, أصـبح أكثر الجميع فهما لتوازنات القوى ومقومات السلطة والحكـم, فهـو لا يرى ان الحكم مصدره النـاس وانمـا هـو توكيـل مـن الله لـولي الأمـر (نسوسكم بسلطان الله الذي ولانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا) فالأمر قضاء من الله وليس لاي من الرعية حق الاعتراض على ذلـك، بـل ولربمـا ان الرعيـة مطالبـة اكثـر مـن الحـاكم لاثبـات صـلاحيتها لاسـتجلاب العـدل والمنفعـة والحمايـة (فاسـتوجبوا عـدلنا وفيئنـا بمناصحتكم لنا) لذلك نرى في الخطاب السفياني أن حق الحاكم مطلق، في حين أن حق الرعية مـشروط ولعـل هـذا تعـبير قـوي عـن الجبريـة الأموية.

لم يكتف معاوية ومنظروه بالوقوف عند التكليف الإلهي لشخـصه وانما استعمل هذا التفويض لينقل الأمـر إلى ابنـه, فاتحـا المجـال لفكـرة التوريث التي استمرت في العالم العربي حتى العهود الجمهوريـة، وهـذه الفكرة التي وجدت العديد من المشرعين والفقهـاء يـساندونها ويجـدون

التفسيرات والتبريرات لها، حيث أصبحت الخلافة أو الإمامة عندهم تتم بثلاث طرق: البيعة, الغلبة والاستخلاف ولم تلبث البيعة أن تحولت إلى ديكور يكمل شكل العملية التي تبدأ بالغلبة ثم تستمر بالاستخلاف، فقد غلب معاوية بصفين ثم استخلف وغلب مروان بمرج راهط، ثم استخلف وغلب بنو العباس في الزاب ثم استخلفوا.

وهنا لا بد أن نعيد التذكير بأنّ الرسول ﷺ الاعظم لم يستخلف وانما ترك الأمر للشورى وللبيعة بعد ذلك.

يوم كربلاء سنة 61 هـ

أيها الناس، ان رسول الله ﷺ قال: ((**من راى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله**)) الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا احق من غير، قد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم بيعتكم انكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ نفسي مع انفسكم واهلي مع اهليكم فلكم في اسوة وان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من اعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغتر

بكم فحظكم اخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"…. ولما استقر يزيد في الخلافة أرسل إلى عامله بالمدينة بإلزام الحسين وعبد الله بن الزبير وابن عمر بالبيعة فأما ابن عمر فقال: إن أجمع الناس على بيعته بايعته وأما الحسين وابن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعا وأرسل عامل المدينة جيشاً مع عمرو بن الزبير أخي عبد الله بن الزبير، وكان شديد العداوة لأخيه عبد اللّه لقتال أخيه عبد الله فانتصر عبد الله بن الزبير وهزم الجمع الذي مع أخيه، وأمسك أخاه عمراً وحبسه حتى مات في حبسه.

مسير الحسين إلى الكوفة

وورد على الحسين مكاتبات أهل الكوفة يحثونه على المسير إليهم ليبايعوه، وكان العامل عليها النعمان بن بشير الأنصاري فأرسل الحسين إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيلٍ بن أبي طالب ليأخذ البيعة عليهم فوصل إلى الكوفة وبايعه بها قيل، ثلاثون ألفاً، وقيل ثمانية وعشرون ألف نفس.

وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لا يرضيه فولى على الكوفة عبيد الله بن زياد، وكان والياً على البصرة، فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية واستمر مسلم بن عقيل عند قدوم عبيد الله بن زياد على ما كان، ثم اجتمع إلى مسلم

بن عقيل من كان بايعه للحسين، وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره ولم يكن مع عبيد اللّه في القصر أكثر من ثلاثين رجلاً ثم إن عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر ويمنّوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية، حتى إن المرأة ليأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف إن الناس يكفونك فتفرق الناس عن مسلم، ولم يبق مع مسلم غير ثلاثين رجلاً فانهزم واستتر ونادى منادي عبيد الله ابن زياد من أتى بمسلم بن عقيل فله ديته فأمسك مسلم وأُحضر إليه، ولما حضر مسلم بين يدي عبيد اللّه شتمه وشتم الحسين وعلياً وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته من القصر ثم أحضر هانئ بن عروة وكان ممن أخذ البيعة للحسين فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية وكان مقتل مسلم بن عقيل لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين.

وأخذ الحسين وهو بمكة في التوجه إلى العراق، وكان عبد الله بن عباس يكره ذهاب الحسين إلى العراق خوفاً عليه، وقال للحسين: يا ابن العم إني أخاف عليك أهل العراق فإنهم قوم أهل غدر وأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز وإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها (..لم يكمل) فقال الحسين: يا ابن العم إني أعلم والله أنك ناصح مشفق ولقد أزمعت وأجمعت ثم خرج ابن عباس من عنده وخرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين، واجتمع عليه جمائع من العرب ثم لما بلغه مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه وأعلم

الحسين من معه بذلك وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ولما وصل الحسين إلى مكان يقال له سراف، وصل إليه الحر صاحب شرطة عبد الله بن زياد في ألفي فارس حتى وقفوا مقابل الحسين في حرّ الظهيرة، فقال لهم الحسين: ما أتيت إلا بكتبكم فإن رجعتم رجعت من هنا، فقال له صاحب شرطة ابن زياد: إنا أمرنا أن لا نفارقك.

حتى نوصلك الكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد فقال الحسين: الموت أهون من ذلك وما زالوا عليه حتى سار مع صاحب شرطة ابن زياد......، ولما سار الحسين مع الحر ورد كتاب من عبيد الله بن زياد إلى الحر يأمره أن يُنزل الحسين ومن معه على غير ماء، فأنزلهم في الموضع المعروف بكربلاء وذلك يوم الخميس ثاني المحرم من هذه السنة أعني سنة إحدى وستين.

ولما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس، أرسله ابن زياد لحرب الحسين فسأله الحسين في أن يُمكَّن أما من العود من حيثُ أتى وأما أن يجهّز إلى يزيد بن معاوية، وأما أن يُمكّن أن يلحق بالثغور.

فكتب عمر إلى ابن زياد يسأل أن يجاب الحسين إلى أحد هذه الأمور، فاغتاط ابن زياد فقال: لا ولا كرامة فأرسل مع شمّر بن ذي

الجوشن إلى عمر بن سعد أما أن تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته وأما أن تعتزل ويكون الأمير على الجيش شمر.

فقال عمر بن سعد: بل أقاتله ونهض عشية الخميس تاسع المحرم هذه السنة والحسين جالس إمام بيته بعد صلاة العصر فلما قرب الجيش منه سألهم مع أخيه العباس أن يمهلوه إلى الغد، وأنه يجيبهم إلى ما يختارونه فأجابوه إلى ذلك.

وقال الحسين لأصحابه إني قد أذنت لكم، فانطلقوا في هذا الليل وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم.

فقال أخوه العباس: لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرنا الله ذلك أبداً ثم تكلم أخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر بنحو ذلك، وكان الحسين وأصحابه يصلّون الليل كله ويدعون فلما أصبحوا ركب عمر بن سعد في أصحابه وذلك يوم عاشوراء من السنة المذكورة وعبأ الحسين أصحابه، وهم اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً ثم حملوا على الحسين وأصحابه واستمر القتال إلى وقت الظهر من ذلك اليوم فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف، واشتد بالحسين العطش فتقدم ليشرب فرُمي بسهم فوقع في فمه ونادى شمر: ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه فضربه زرعة بن شريك على كفه، وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان ابن أنس النخعي بالرمح، فوقع فنزل إليه فذبحه، واحتز رأسه وقيل إن الذي نزل واحتز رأسه هو شمر المذكور وجاء به

إلى عمر بن سعد فأمر عمر بن سعد جماعة، فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم.

ثم بعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده فقال له زيد بن أرقم: ارفع هذا القضيب فوالذي لا إله غيره لقد رايت شفتي رسول اللّه ﷺ على هاتين الشفتين ثم بكى وروي أنّه قتل مع الحسين من أولاد علي أربعة هم العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر، ومن أولاد الحسين أربعة وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر ومن أولاد عقيل.

ثم بعث ابن زياد بالرؤوس وبالنساء وبالأطفال إلى يزيد بن معاوية فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه واستحضر النساء والأطفال ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم، وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة فجهزهم إلى المدينة ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بني هاشم ماذا تقولونَ إنْ قالَ النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي، منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي واختلف في موضع رأس الحسين فقيل: جهز إلى المدينة ودفن عند أمه وقيل دفن عند باب الفراديس وقيل: إن خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأساً إلى القاهرة ودفنوه بها، وبنوا عليه مشهداً يعرف بمشهد الحسين وقد اختلف في عمره والصحيح أنه خمس وخمسون سنة وأشهر وقيل

حج الحسين خمساً وعشرين حجة، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وأما عبد الله بن الزبير فإنه استمر بمكة ممتنعاً عن الدخول في طاعة يزيد ابن معاوية.

تاريخ أبي الفداء

عبدالله ابن الزبير

سبب اظهار عبد الله بن الزبير الدعاء إلى نفسه فيما ذكر هشام عن ابي مخنف عن عبد الملك بن نوفل - قال: حدثني أبي، قال: لما قتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله، وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على محمد ﷺ:

إن أهل العراق غُدَّر فُجَّر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شرار اهل العراق وانهم دعوا حسينا لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا اليه فقالوا له: أما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلما فيمضي فيك حكمه، وأما ان تحارب فراى والله انه هو واصحابه قليل في كثير وان كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحدا، انه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسينا واخزى قاتل حسين! لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنه ما حم نازل واذا

اراد الله أمراً لن يدفع أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً! لا، ولا نراهم لذلك اهلاً أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه احق بما هم فيه منهم وأولى به الدين والفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرض بيزيد – (فسوف يلقون غيا). فثار إليه اصحابه فقالوا له: ايها الرجل اظهر بيعتك فانه لم يبق احد اذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر.

يوم الحرة سنة 63 هـ

"وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر.

فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه، ويلقيها عن رأسه.

ويقول الآخر: قد خلعته كما خلعت نعلي هذه، حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد، وعلى إجلاء بني أمية من المدينة.

فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، واعتزل الناس علي بن الحسين زين العابدين، وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب لم يخلعا يزيد، ولا أحد من بيت ابن عمر.

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة، والجوع والعطش، وأنه لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم، وبعثوا ذلك مع البريد.

فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس في رجليه، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال: ويلك! ما فيهم ألف رجل؟

قال: بلى.

قال: فهلا قاتلوا ساعة من نهار؟

ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم، وعرض عليه أن يبعثه إليهم فأبى عليه ذلك، وقال: إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة، فأما الآن فإنما دماء قريش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم، ليتول ذلك من هو أبعد منهم مني.

(ج/ ص 8/ 239).

قال: فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المزني وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس.

وقيل: اثنا عشر ألفاً وخمسة عشر ألف رجل، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار.

وقيل: أربعة دنانير، ثم استعرضهم وهو على فرس له.

قال المدائني: وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهلالي، وعليهم مسلم بن عقبة المزني من غطفان، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة.

فقال النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك - وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة - فقال يزيد: لا ! ليس لهم إلا هذا الغشمة، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة.

فقال النعمان: يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن جعفر: أرايت إن رجعوا إلى طاعتك ايقبل منهم؟

قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم.

وقال يزيد لمسلم بن عقبة: ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً ثم أكفف عن الناس، وانظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً، وأدن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه.

وأمر مسلماً إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن الزبير.

وقال له: إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني.

وقد كان يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد أن يسير إلى الزبير فيحاصره بمكة، فأبى عليه وقال: والله لا أجمعهما للفاسق أبداً، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ، وأغزو البيت الحرام؟

وقد كانت أمه مرجانة قالت له حين قتل الحسين: ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت؟

وعنفته تعنيفاً شديداً.

قالوا: وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته: يزيد القرود، شارب الخمور، تارك الصلوات، منعكف على القينات.

فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول:

أبلغ أبا بكرٍ إذا الجيش سرى ... وأشرف الجيش على وادي القرى

أجمع سكران من القوم ترى ... يا عجبا من ملحد في أم القرى

مخادعٌ للدين يقضي بالفرى

وفي رواية: (ج/ ص: 8/ 240).

أبلغ أبا بكرٍ إذا الأمر انبرى ... ونزل الجيش على وادي القرى

عشرون ألفاً بين كهلٍ وفتى ... أجمع سكران من القوم ترى

قالوا: وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية.

وقالوا لهم: والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين، ولا تمالئوهم علينا، فأعطوهم العهود بذلك.

فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحد، فانحصر لذلك.

جاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فأنزل شرقي المدينة في الحرة، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقفيتكم وفي

وجوههم، فادعهم إلى الطاعة، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة.

فشكره مسلم بن عقبة على ذلك، وأمتثل ما أشار به، فنزل شرقي المدينة في الحرة، ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة.

فلما مضت الثلاثة قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم: يا أهل المدينة مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي: إنكم أصله وعشيرته، وأنه يكره إراقة دمائكم، وأنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت، فماذا أنتم صانعون؟

أتسالمون أم تحاربون؟

فقالوا: بل نحارب.

فقال: لا تفعلوا بل سالموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحد - يعني: ابن الزبير -.

فقالوا: يا عدو الله، لو أردت ذلك لما مكناك منه، أنحن نذركم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام، ثم تهيأوا للقتال، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على

كل ربع أمير، وجعلوا أجمل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسيل، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم أهل المدينة إليها.

وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان، منهم: عبد الله بن مطيع، وبنون له سبعة بين يديه، وعبد الله بن حنظلة الغسيل، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شماس، ومحمد بن عمرو بن حزم، وقد مر به مروان وهو مجندل فقال: رحمك الله، فكم من سارية قد رايتك تطيل عندها القيام والسجود.

(ج/ ص: 8/ 241).

ثم أباح مسلم بن عقبة، الذي يقول فيه السلف: مسرف بن عقبة - قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد، لا جزاه الله خيراً، وقتل خلقاً كثيراً من أشرافها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شرٌّ عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد.

فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان، وقد كان صديقه قبل ذلك، ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً، فنقم عليه بسببه، واستدعى بعلي بن الحسين، فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك، ليأخذ له بهما عنده أماناً، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به.

فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشراب - وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة فكان يشاب له بشرابه - فلما

جيء بالشراب شرب مروان قليلاً ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً، وكان مروان مواداً لعلي بن الحسين.

فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الإناء في يده قال له: لا تشرب من شرابنا.

ثم قال له: إنما جئت مع هذين لتأمن بهما؟

فارتعدت يد علي بن الحسين وجعل لا يضع الإناء من يده ولا يشربه.

ثم قال له: لولا أن أمير المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك، ثم قال له: إن شئت أن تشرب فاشرب، وإن شئت دعونا لك بغيرها.

فقال: هذه الذي في كفي أريد، فشرب.

ثم قال له مسلم بن عقبة: قم إلى ههنا فاجلس، فأجلسه معه على السرير، وقال له: إن أمير المؤمنين أوصاني بك، وإن هؤلاء شغلوني عنك.

ثم قال لعلي بن الحسين: لعل أهلك فزعوا.

فقال: إي والله.

فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله عليها حتى ردّه إلى منزله مكرماً.

ثم استدعى بعمرو بن عثمان بن عفان - ولم يكن خرج مع بني أمية - فقال له: إنك إن ظهر أهل المدينة قلت: أنا معكم، وإن ظهر

أهل الشام، قلت: أنا ابن أمير المؤمنين، ثم أمر به فنتفت لحيته بين يديه - وكان ذا لحية كبيرة -.

قال المدائني: وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال.

فأرسلت سعدى بنت عوف المرية إلى مسلم بن عقبة تقول له: أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا.

فقال لأصحابه: لا تبدأوا إلا بأخذ إبلها أولاً.

وجاءته أمرأة فقالت: أنا مولاتك، وابني في الأسارى، فقال: عجلوه لها، فضربت عنقه.

وقال: أعطوها رأسه، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنك؟

ووقعوا على النساء حتى قيل: إنه حبلت ألف أمرأة في تلك الأيام من غير زوج والله أعلم.

قال المدائني: عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف أمرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج.

(ج/ ص: 8/ 242).

وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم: جابر بن عبد الله، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل، فلحقه رجل من أهل الشام، قال: فلما رايته انتضيت سيفي فقصدني.

فلما رآني صمم على قتلي، فشممت سيفي ثم قلت: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ ﴾ (المائدة: ٢٩). فلما رأى ذلك، قال: من أنت؟

قلت: أنا أبو سعيد الخدري.

قال: صاحب رسول الله ﷺ؟

قلت: نعم ! فمضى وتركني.

قال المدائني: وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيّب فقال له: بايع!

فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر.

فأمر بضرب عنقه، فشهد رجل إنه مجنون فخلّى سبيله.

وقال المدائني: عن عبد الله القرشي وأبي اسحاق التميمي قالا: لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان، فقال ابن عمر: بعثمان ورب الكعبة.

قال المدائني: عن شيخ من أهل المدينة.

قال: سألت الزهري: كم كان القتلى يوم الحرة؟

قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي، وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف.

قال: وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام.

قال الواقدي، وأبو معشر: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة، سنة ثلاث وستين.

قال الواقدي: عن عبد الله بن جعفر، عن ابن عوف قال: وحج بالناس في هذه السنة: عبد الله بن الزبير، وكانوا يسمونه العائذ - يعني: العائذ بالبيت - ويرون الأمر شورى، وجاء خبر الحرة إلى أهل مكة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المسور بن مخرمة، فحزنوا حزناً شديداً وتأهبوا لقتال أهل الشام.

قال ابن جرير: وقد رويت قصة الحرة على غير ما رواه أبو مخنف: فحدثني أحمد بن زهير، ثنا أبي، سمعت وهب بن جرير، ثنا جويرية بن أسماء قال: سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد.

فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته لنا، فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - وكان شريفاً فاضلاً سيداً عابداً - ومعه ثمانية بنين له، فأعطاه

يزيد مائة ألف درهم، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف، سوى كسوتهم وحملاتهم.

(ج/ ص: 8/ 243).

ثم رجعوا إلى المدينة، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له: ما وراءك؟ فقال: جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم.

قالوا: قد بلغنا أنه أعطاك وأخدمك وأجزاك وأكرمك.

قال: قد فعل وما قبلت منه إلا لأتقوى له على قتاله، ثم فحض الناس فبايعوه.

فبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عقبة، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقاً من قطران وغوَّروه، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً بالمطر، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة.

فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم، وكان أميرهم مسلم شديد الوجع، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر، فانهزم الناس، فكان من أصيب في الخندق أعظم ممن قتل.

فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغط نوماً، فنبهه ابنه، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس، أمر أكبر بنيه فتقدم فقاتل حتى قتل.

فدخل مسلم بن عقبة المدينة **فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية، ويحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء.**

وقد روى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد من تاريخه من كتاب (المجالسة) لأحمد بن مروان المالكي: حدثنا الحسين بن الحسن اليشكري، حدثنا الزيادي عن الأصمعي.

وحدثني محمد بن الحارث، عن المدائني قال: لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة، وابن الزبير جالس يسمع:

والصائمون القانتون أولو العبادة والصلاح

المهتدون المحسنون السابقون إلى الفلاح

ماذا بواقم والبقيع من الجحاجحة الصباح

وبقاع يثرب ويحهنّ من النوادب والصياح

قتل الخيار بنوا الخيار ذوي المهابة والسماح

فقال ابن الزبير: يا هؤلاء قتل أصحابكم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد.

وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه من غير منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده، وحال بينه وبين ما يشتهيه، فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد).

(ج/ ص: 8/ 244).

قال البخاري في (صحيحه): حدثنا الحسين بن حريث، ثنا الفضل بن موسى، ثنا الجعد، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء)).

وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القراظ المديني - واسمه دينار- عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: ((لا

يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص - أو ذوب الملح في الماء -)).

وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القراظ عن سعد وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ((من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء)).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، ثنا يزيد بن خصيفة، عن عطاء بن يسار، عن السائب بن خلاد: أن رسول الله ﷺ قال: ((من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)).

ورواه النسائي من غير وجه عن علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن عطاء بن يسار، عن خلاد بن منجوف بن الخزرج أخبره فذكره.

وكذلك رواه الحميدي، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن يزيد بن خصيفة.

ورواه النسائي ايضاً: عن يحيى بن حبيب بن عربي، عن حماد، عن يحيى بن سعيد، عن مسلم بن أبي مريم، عن عطاء بن يسار، عن ابن خلاد - وكان من أصحاب النبي ﷺ - فذكره.

وقال ابن وهب: أخبرني حيوة بن شريح، عن ابن الهاد، عن أبي بكر، عن عطاء بن يسار، عن السائب بن خلاد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)).

وقال الدار قطني: ثنا علي بن أحمد بن القاسم، ثنا أبي، ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، ثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري، عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا: خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ.

فقلنا: يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ؟

(ج/ ص: 8/ 245).

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أخاف أهل هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين)) - ووضع يده على جبينه.

قال الدار قطني: تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظاً وإسناداً.

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية، وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال، وأبو بكر عبد العزيز، والقاضي أبو يعلى، وابنه القاضي أبو الحسين، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد، وجوز لعنته.

ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه ايضاً لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أوأحد من الصحابة، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ.

وقالوا: إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه، كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه، فرح بذلك فرحاً شديداً، فإنه كان يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته، وأمروا عليهم غيره، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة.

كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم، وقد جاء في (الصحيح): ((من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان)).

وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبعري في وقعة أُحد التي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حلت بفنائهم بركّها   واستحر القتل في عبد الأشل

قد قتلنا الضعف من أشرافهم   وعدنا ميل بدرٍ فاعتدل

(ج/ ص: 8/ 246).

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا   ملك جاءه ولا وحيٌ نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنه اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه.

وسيذكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريباً، وما ذكر عنه وما قيل فيه، وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية، فإنه لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده، إنه كان عليماً قديراً.

وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرة مما يطول ذكرهم.

فمن مشاهيرهم من الصحابة عبد الله بـن حنظلـة أمـير المدينـة في وقعة الحرة، ومعقل بـن سـنان، وعبيـد الله بـن زيـد بـن عاصـم ﷺ، ومسروق بن الأجدع.

وفاة يزيد

ففيها: في أول المحرم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتـال ابن الزبير ومن التفَّ عليه من الأعراب، على مخالفة يزيد بـن معاويـة، واستخلف على المدينة روح بن زنباع.

فلما بلغ ثنية هرشا بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهـم، فقـال: إن أمير المؤمنين عهد إليّ إن حدث بي حدث الموت أن أسـتخلف علـيكم حُصين بن نمير السكوني، ووالله لو كان الأمر لي ما فعلت.

ثم دعا به فقال: انظر يا بن بردعة الحمار فاحفظ ما أوصـيك بـه، ثم أمره إذا وصل مكة أن يناجز ابن الزبير قبل ثلاث.

ثم قال: اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، أحب إليّ من قتل أهل المدينـة، وأجـزى عنـدي في الآخرة.

وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي، ثم مـات قبحـه الله ودفـن بالمسلك فيما قاله الواقدي.

ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه، فما متعهما الله بشيء مما رجوه وأملوه، بل قهرهم القاهر فوق عباده، وسلبهم الملك، ونزعه منهم من ينزع الملك ممّن يشاء.

وسار حصين بن نمير بالجيش نحو مكة فانتهى إليها لأربع بقين من المحرم فيما قاله الواقدي.

وقيل: لسبع مضين منه.

(ج/ص: 8/ 247).

وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشراف أهل المدينة، وانضاف إليه نجدة بن عامر الحنفي - من أهل اليمامة - في طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام، فنزل حصين بن نمير ظاهر مكة، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التفّ معه فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً.

وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهما صاحبه، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة.

فانكشف أهل مكة، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به، فكرّ عليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة فقاتلوا دونه حتى قتلوا جميعاً، وصابرهم ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا عنه ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفراً بكماله.

فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها حتى بالنار، فاحترق جدار البيت في يوم السبت، وهذا قول الواقدي، وهم يقولون:

خطّاره مثل الفتيق المزبد ترمى بها جدران هذا المسجد

وجعل عمر بن حوطة السدوسي يقول:

كيف ترى صنيع أم فروة تأخذهم بين الصفا والمروة

وأم فروة اسم المنجنيق.

وقيل: إنما احترقت لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة، فعلقت النار في بعض أستار الكعبة، فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت.

وقيل: إنما احترقت لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء، فظن أنهم أهل الشام، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل، فأطارت الريح شررة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة، فعلقت في أستارها وأخشابها فاحترقت، وأسود الركن وانصدع في ثلاثة أمكنة منه.

واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر، وجاء الناس نعُي يزيد بن معاوية، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، سنة أربع وستين، وهو ابن خمس أو ثمان، أو تسع وثلاثين سنة.

فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر، فغُلب أهل الشام هنالك انقلبوا صاغرين، فحينئذ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة.

ويقال: إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة، ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام، فنادى فيهم: يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم، فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع، فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به.

حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع بالخبر اليقين.

ويذكر أن حصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدثه بين الصفين فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفها.

فقال له ابن الزبير: مالك؟

فقال: أن الحمام تحت رجلي فرسي تأكل من الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم.

(ج/ ص: 8/ 248).

فقال له: تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين؟

فقال له حصين: فأذن لنا فلنطوف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا، فأذن لهم فطافوا.

وذكر ابن جرير أن حصيناً وابن الزبير تواعدا ليلة أن يجتمعا فاجتمعا بظاهر مكة، فقال له حصين: إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده، فهلم فارحل معي إلى الشام، فوالله لا يختلف عليك اثنان.

فيقال: إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك، وأغلظ له في المقال فنفر منه ابن نمير وقال: أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال؟

ثم كر بالجيش راجعاً إلى الشام.

وقال: وعده بالملك، ويتواعد بالقتل؟

ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة، فبعث إليه يقول له: أما الشام فلست آتية، ولكن خذ لي البيعة على من هناك، فإني أؤمنكم وأعدل فيكم.

فبعث إليه يقول له: إن من يبتغيها من أهل البيت بالشام لكثير.

فرجع فاجتاز بالمدينة فطمع فيه أهلها وأهانوهم إهانة بالغة، وأكرمهم علي بن الحسين زين العابدين، وأهدى لحصين ابن نمير قتاً وعلفاً وارتحلت، بنو أمية مع الجيش إلى الشام فوجدوا معاوية بن يزيد

بن معاوية قد استخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك، والله سبحانه أعلم بالصواب.

البداية والنهاية ج9

كان فتح باب التوريث فتحاً للحروب الداخلية العنيفة التي قسمت العالم الاسلامي نهائياً إلى معسكري الشيعة والسنة على اختلاف مذاهبهما.فالعرب لم يقبلوا فكرة التوريث بسهولة وسلاسة وقاوموها بعنف شديد, فقد ثار الحسين بن علي على يزيد وكانت معركة كربلاء ثلما في الأمة حتى اليوم، ولا أعرف في التاريخ ثورة أو ملحمة تركت هذا الاثر وبهذه الشحنة العاطفية المتأججة والمتزايدة على مر العصور كما فعلت ملحمة كربلاء.

كذلك ثار عبدالله بن الزبير في مكة, مكة التي حوصرت وضربت بالمنجنيق فيما بعد.

وثارت ايضاً المدينة على يزيد تلك الثورة التي قمعت بشدة لا مثيل لها في التاريخ لدرجة ان رآى فيه البعض انتقاماً قرشياً أو أموياً من المدينة على معركة بدر فقيل يوم الحرة بيوم بدر، ولا أدل على القسوة من تلك البيعة الغريبة التي فرضت على اهل المدينة بأن يبايعوا على أن يكونوا (خَوَلٌ ليزيد) اي يتصرفه يفعل فيهم ما يشاء لا حقوق لهم ولاحرية ولا كرامة .

المروانية

معاوية الثاني

حين ولي معاوية بن يزيد بن معاوية نودي بالشام: الصلاة جامعة! فحمد الله واثنى عليه ثم قال: "أما بعد فاني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه ابو بكر فلم اجده فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها فانتم أولى بأمركم فاختاروا له من احببتم ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس وتغيب حتى مات".

(الأمويون والخلافة "ص / 96).

"قيل له ألا تستخلف؟ قال: ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمل مرارتها" السيوطي ص211.

إذن توفي معاوية بن يزيد سنة 64 هـ بن يزيد دون ان يستخلف, وجماعة المسلمين في اختلاف واضطراب, عبدالله بن الزبير قد بويع خليفة بمكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق والعصبية القيسية وقد قصّر عن حربه الحصين بن نمير بسبب الاضطراب الحاصل بالشام، فلم يكمل محاربته ولا حصاره، بل دعاه إلى التحالف وهو ما رفضه ابن الزبير واستهجنه الحصين.

أما اليمانية وبنو أمية وأهل الشام فقد اجتمعوا بالجابية وكانوا في ارتباك من أمرهم بعضهم يرى أن تكون البيعة لخالد بن يزيد والبعض الآخر يرى البيعة لمروان بن الحكم وانتهى الأمر بمبايعة مروان حيث "هو كبير قريش وسنها، وابن عم الخليفة المظلوم، والطالب بدمه قبل الناس أجمعين، فبايعوه، رحمكم الله، فهو أولى بميراث عثمان"...خطبة حسان بن مالك في بيعة مروان بالجابية.

في نفس الوقت ولى إبن الزبير الضحاك بن قيس زعيم القيسية على دمشق فصار وكأن الحرب واقعة لا محالة بين مروان واليمنية وأهل الشام من جهة وابن الزير وأهل العراق والقيسية من جهة أخرى.

مرج راهط سنة 65 هـ

"وسار (مروان) إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس، وركب إليه عبيد الله بن زياد، وأخوه عباد بن زياد، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً، وبدمشق من جهته يزيد بن أبي النمر، وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمد مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك.

ويقال: كان نائبه على دمشق يومئذٍ عبد الرحمن بن أم الحكم، وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص، وبعث الضحاك إلى النعمان بن بشير فأمده النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذي الكلاع.

وركب إليه زفر بن الحارث الكلابي في أهل قنسرين.

فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالي، فتصافوا وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً، يلتقون بالمرج في كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً.

(ج/ ص: 8/ 267).

ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى الموادعة خديعة فإن الحرب خديعة، وأنت وأصحابك على الحق، وهم على الباطل، فنودي الناس بذلك، ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتالاً شديداً، وصبر الضحاك صبراً بليغاً.

فقتل الضحاك بن قيس في المعركة، قتله رجل يقال له: زحمة بن عبد الله من بني كلب، طعنه بحربة فأنفذه ولم يعرفه.

وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أولئك بين يديه، فنادى مروان: ألا لا تتبعوا مدبراً، ثم جيء برأس الضحاك.

ويقال: أن أول من بشره بقتله روح بن زنباع الجذأمي، **واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم.**"

(البداية والنهاية ج8).

"وخرج مروان بعدما اجتمع له أمر الناس بالشام إلى مصر, فسيطر عليها, ونفى عامل ابن الزبير منها" وليحسم ما قد ينشا من

خلاف بعده فقد أخذ مروان البيعة لابنه عبد الملك في حياته وذلك على سنة معاوية.

توفي مروان بدمشق سنة 65 هـ وقد بويع لعبد الملك الذي كان ينتظره حسم المعركة مع العدو المتربص ابن الزبير في الحجاز والعراق.

عبد الملك بن مروان

نماذخ من خطاب عبد الملك

(1)

قال المدائني: ((لما مات مروان صلى عليه عبد الملك ودفنه ثم صعد المنبر فقال: اني والله ما انا بالخليفة المصانع ولا الخليفة المستضعف ولا الخليفة المطعون عليه انكم تأمرون بتقوى الله، وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرني احد بعد يومي هذا بتقوى الله، إلا ضربت عنقه))!

وكرر ذلك في خطبته لهم بعد ان ذبح عمرو بن سعيد الاشدق وتوسع فيه واسهب قال المدائني قال عوانة بن الحكم الكلبي: ((لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد العاص، اذن للناس اذنا عاماً فدخلوا عليه وجثة عمرو في ناحية البيت، فلما اخذوا مجالسهم تكلم عبد الملك فقال: <u>ارموا بأبصاركم نحو مصارع اهل المعصية واجعلوا سلفهم لمن غبر منكم عظة ولا تكونوا اغفالاً من حسن الاعتبار، فتنزل</u>

بكم جائحة السطوة وتجوس خلالكم بوادر النقة وتطأ رقابكم بثقلها المعصية، فتجعلكم همداً رفاتاً وتشتمل عليكم بطون الأرض، وأمواتاً اياي من قول قائل وسفه جاهل فانما بيني وبينكم، ان اسمع النعرة فاصمم تصميم الحسام المطرور وأصول صيال الحنق الموتور انما هي المصافحة والمكافحة بظبات السيوف وأسنة الرماح والمعاودة لكم بسوء الصباح، فتاب تائب أو هلك خائب والتوب مقبول الاحسان مبذول لمن ابصر حظه وعرف رشده فانظروا لأنفسكم واقبلوا على حظوظكم وليكن أهل الطاعة منكم يدا على ذي الجهل من سفهائكم واستديموا النعمة التي ابتدتكم برغد عيشها ونفيس زينتها فانكم من ذلك بين فضيلتين: عاجل الخفض والدعة وأجل الجزاء والمثوبة عصمكم الله من الشيطان وفتنته ونزعه وايدكم بحسن معونته وحفظه انهظوا رحمكم الله لقبض أعطياتكم غير مقطوعة ولا مكدرة عليكم ان شاء الله، قال: فخرج القوم من عنده بدارا كلهم يخاف أن تكون السطوة به)).

(2)

"قدم علينا عبد الملك حاجا سنه خمس وسبعين فصعد المنبر، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أما بعد فلست بالخليفة المأفون يعني يزيد الا من قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويؤكلون، وإني والله لا أدواكم الا بالسيف فمن أحب أن يبدي صفحته فليفعل! فلا تكلفون اعمال المهاجرين ولستم تعملون اعمالهم، فوالله ما زلتم تزدادون استجراحا

ونزداد لكم عقوبة حتى التقينا نحن وانتم عند السيوف هذا عمرو بن سعيد قال برأسه كذا فقلنا بسيفنا هكا الا فليبلغ الشاهد الغائب، انه ليست من لغبة الا ونحن نحتملها ما لم تبلغ ان تكون صعود منبر ونصب راية الا وانت جامعة عمرو بن سعيد التي جعلناها في عنقة عندنا واني اعطي الله عهدا ان لا اجعلها في عنق أحد فأخرجها منه الا صعدا "! وقال ابن شاكر الكتبي: وزادوا فيها: <<والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه>>!

(3)

وصية عبد الملك للوليد

اذ قال له ((يا وليد لا اعرفنك اذا وضعتني في حفرتي تمسح عينيك وتغصرهما فعل الأمه! ولكن اذا وضعتني في حفرتي فشمر واتزر والبس جلد النمر ثم اصعد المنبر فادع الناس إلى البيعة فمن قال: كذا وأومأ اليه: من قال: لا فاقتله)).

(4)

ونقل عنه

قال عبيد الله بن محمد التميمي البصري المعروف بابن عائشة: ((افضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان والمصحف في حجره فاطبقه، وقال ((هذا فراق بيني وبينك)).

من خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

خطبته حين ولي العراق

حدثني محمد بن يحيى بن علي عن عبد الحميد عن عبد الله بن ابي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر قال: خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثنى عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار – وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية – فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال: اذن بالناس. فحسبوة وأصحابه خوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال:

((أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني، أما والله اني لاحتمل الشر بحمله واخذوه بنعله وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها واني لصاحبها واني لانظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى: قد شمرت عن ساقها فشمر.

ثم قال:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم　　　قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم　　　ولا بجزار على ظهر وضم

قال ايضاً:

قــد لفهــا الليــل بعــصلبي   اروع خــراج مــن الــدوي

مهاجر ليس بأعرابي

انـي والله يـا اهـل العـراق ومعـدن الـشقاق والنفـاق ومـسأوئ الاخلاق ما اغمز تغماز التين وولا يقعقع لي بالسنان ولقد فررت عـن ذكاء وفتشت عن تجربة، وجريت من الغاية ان أمير المؤمنين كب كنانتـه ثم عجم عيدانهم فوجدني أمرهم عوداً واصلبها عموداً فوجهني الـيكم فانكم طالما أوضعتهم في الفتن واضطجعتهم في مراقد الضلال وسـننتم سنن الغي أما والله لالحونكم لحو العصا، ولأعصبنكم عـصب الـسَّلمة ولأضــربنكم ضــرب الابــل فــانكم لكأهــل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل: ١١٢). إني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم الا أمضيت، ولا اخلق الا فريت فاياي وهـذه الجماعـات وقـال وقيـل وما تقول وفيم انتم وذاك أما والله لتستقيمن على طريق الحق أولادعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده مـن وجـدت بعـد ثلاثـة مـن بعـث المهلب سفكت دمه وانهبت ماله.

(البيان والتبيين) ص365-366.

بين السفيانية والمروانية

نجح عبد الملك في القضاء على الانقسام في العالم الاسلامي حيث قضى على خلافة ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين هجرية بعد حصار مكة ورميها بالمنجنيق. وبذلك فقد أرسى عبد الملك دعائم استقرار دام له ولأولاده وأحفاده قرابة سبعين سنة.

لربما أن معاوية وعبد الملك يعتبران أهم رمزين في الدولة الأموية الأول مؤسسها والثاني مُرَكِّزُها ومُثَبِّتُها, وقد تميزت الدولة الأموية باتساع رقعتها ومركزيتها الا انها وبرغم القوة الهائلة بقيت تعاني شرخاً هاماً في شرعيتها سببه الصراع مع آل البيت هذا الصراع الذي ظل ينخر في هذه الدولة، إلى أن قضى عليها في النهاية حيث لم تنجح السياسة الأموية في نهاية الأمر في حل هذه المعضلة التي شكل العراق ساحة الصراع الرئيسية فيها، ومن الانصاف أن نذكر أن عبد الملك قد تنبه إلى خطورة التناقض مع آل البيت حيث نقل عنه قوله للحجاج "جنِّبني دماء بني عبد المطَّلب, فليس فيها شفاءً من الحرب, واني رايت بني حَرْب "سُلِبوا مُلكهم لما قتلوا الحسين بن علي".. فلم يتعرض الحجاج لاحد من الطالبيين أيامه.

الأمويون والخلافة (ص 119).

ويمكننا ان نميز بين ثلاثة اتجاهات رئيسية حكمت السياسة العراقية للدولة الأموية كل اتجاه مثله خليفة وواليه على العراق.

1- اتجاه المسايسة ومثله بجدارة فريق معاوية- وواليه على العراق زياد بن ابيه

2- اتجاه القوة ومثله بجدارة فريق عبد الملك- الحجاج

3- هشام بن عبد الملك - خالد بن عبدالله القسري حاول الجمع بين الاتجاهين وقد نجح هشأم على ما اعتقد في اطالة عمر الدولة الأموية.

قال المدائني كان المنصور إذا ذكر بني مروان يقول" أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي ما أقدم عليه, وأما الوليد فكان مجنوناً، وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه, وأما عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عميان, ورجل القوم هشام".

في المحصلة لم تنجح لا القوة ولا الدهاء في رتق فتق الشرعية, فسقطت الدولة الأموية.

استثناء

عمر بن عبد العزيز

"أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن, ولا نبي بعد محمد ﷺ, ألا وإني لست بفارض ولكني منفذ, ولست بمبتدع ولكني متبع, ولست بخير من أحدكم, ولكني أثقلكم حملاً, وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم, **ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**".

السيوطي (ص231).

وروي انه لما دفن سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للارض رجه فقال: ما هذا؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت اليك لتركبها فقال: مالي ولها؟ نحوها عني، قربوا الي بغلتي فقربت اليه فركبها وجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحرية فقال: تنح عني مالي ولك؟ انما انا رجل من المسلمين فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع إليه الناس، فقال:

((**أيها الناس: اني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير راي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم**)).

فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل أمرنا اليمن والبركة فلما راى الاصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعاً حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ﷺ. وقال:

((أوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله عز وجل خلف، واعملوا لآخرتكم فانه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، واصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم واكثروا ذكر الموت واحسنوا الاستعداد قبل ان ينزل بكم فانه هادم اللذات، وان من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين ادم عليه السلام ابا حيا لمعرق في الموت وان هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها ﷺ ولا في كتابها وانما اختلفوا في الدينار والدرهم واني لا

اعطي أحداً باطلاً ولا أمنع احدا حقا اني لست بخازن ولكني أضع حيث أمرت ايها الناس: **انه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتهم بان تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم))**.

(ناصيف).

كثيراً ما أطلق الكتاب والمؤرخون على الخليفة عمر بن عبد العزيز لقب الخليفة الخامس رابطين عهده بعهد الخلفاء الراشدين، ولعل هذا له ما يبرره بقوة فبالاضافة إلى عداته بشقيها الاجتماعي والسياسي فانه عمد إلى أمرين

* الأول انه برغم استخلاف سليمان له, أصر على البيعة المباشرة

* الثاني انه في خطابه أعاد تأكيد حق الناس في رفض طاعة الخليفة اذا ما عصى فالطاعة للخليفة ليست من طاعة الله وانما بسبب طاعته لله.

انقلابات ما قبل النهاية

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد.

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ايها الناس، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبةً في الملك، وما بـي إطـراء نفـسي، وإني لظلوم لها إن لم يرحمني الله، ولكن خرجت غضباً لله ودينـه، داعيـاً إلى الله وإلى سنة نبيه، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور أهل التقـوى، وظهر الجبار العنيد، المستحيل للحرمةٍ، والراكـب لكـل بدعـةٍ، الكـافر بيوم الحساب، وإنه لابن عمي في النسب وكفئي في الحسب؛ فلما رايت ذلك استخرت الله في أمره، وسألته ألا يكلـني إلى نفـسي، ودعـوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي، حتى أراح الله منه العباد، وطهـر منـه البلاد، بحوله وقوته، لا بحولي وقوتي.

أيها الناس، إن لكم علي ألا أضع حجـراً علـى حجـر، ولا لبنـةً على لبنةٍ، ولا أكري نهراً، ولا أكنز مالاً، ولا أعطيـه زوجـاً ولا ولـداً، ولا أنقله من بلدٍ إلى بلدٍ حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله، فإن فضلَ فضلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه. ولا أجمركم في بعـوثكم فـأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم، وأقطع به نـسلهم. ولكـم على إدرار العطاء في كل سنةٍ، والرزق في كل شهر، حتى يستوي بكـم الحال، فيكون أفضلكم كأدناكم. فإن أنا وفيـت لكـم، فعلـيكم الـسمع والطاعـة، وحـسن المـؤازرة والمكاتفـة, وإن لم أف لكـم, فلكـم أن

تخلعوني، إلا أن تستتيبوني، فإن أنا تبت قبلتم مني، وإن عرفتم أحداً يقوم مقامي ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل الذي أعطيتكم، فأردتم أن تبايعوه، فأنا أول من بايعه، ودخل في طاعته. ايها الناس، أنه لا طاعه لمخلوق في معصيه الخالق. وأقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم".

فلما بويع مروان الثاني "الحمار" نبشه وصلبه. وكانوا يقرؤون في الكتب: يا مبذر الكنوز، ويا سجادًا بالأسحار، كانت ولايتك لهم رحمةً، وعليهم حجةً، أخذوك فصلبوك.

(أحمد فريد الرفاعي ص385 إلى ص388).

الوليد بن يزيد بن عبد الملك "الفاسق" ثم يزيد بن الوليد بن عبد الملك, ابن عمه وقاتله ثم أخيه ابراهيم "المخلوع" ثم مروان الخليفة المُتَغَلِّب فالمُبايع فالمهزوم, آخر أربع خلفاء من بني أمية تميزت أيامهم بالاضطراب والصراع فيما بينهم وتباينهم في الطباع والمواقف ولربما ان هذا كان من مؤشرات قرب سقوط الدولة الأموية، التي لم تحمها محاولات يزيد الثاني الاصلاحية ولا قوة وجلد وتحمل مروان الثاني.

الدولة العباسية

من خطب أبي العباس السفاح

صعد ابو العباس السفاح المنبر حين بويع بالخلافة فقام في اعلاه وصعد عمه داود بن علي فقام دونه وتكلم ابو العباس فقال:

((الحمدالله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له والزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها **وخصنا برحم رسول الله وقرابته وانشأنا من آبائه وانبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته جعله من انفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا** حريصاً بالمؤمنين رؤوف رحيم، ووضعنا من الاسلام واهله بالموضع الرفيع وانزل بذلك على اهل الاسلام كتاباً يتلى عليهم فقال عز وجل فينا من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء: ٢١٤)، وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴿٧﴾﴾ (الحشر: ٧)، وقال: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴿٤١﴾﴾(الأنفال: ٤١)، فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب

عليهم مودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلاً علينا والله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السبيئة الضلال ان غيرنا احق بالرياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم! بم ولم ايها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم واظهر بنا الحق وادحض بنا الباطل واصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخسيسة، واتم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة اهل تعاطف وبر ومواساة في دينهم ودنياهم وإخواناً على سرر متقابلين في اخرتهم فتح الله ذلك منه ومنحه لمحمد ﷺ فلما قبضه الله اليه قام بذلك الأمر من بعده اصحابه وأمرهم شورى بينهم فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضيعها واعطوها اهلها وخرجوا خماصاً منها ثم بنو حرب ومروان فابتزوها وتدأولوها بينهم فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا اهلها فأمهل الله لهم حينا حتى اسفوه فلما اسفوه <u>انتقم منهم بايدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا، وولي نصرنا والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الارض وختم بنا كما افتتح بنا، وإني</u> لارجو الا يأتيكم الجور من حيث اتاكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت الا بالله.

يا أهل الكوفة انتم محبتنا ومنزل مودتنا انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عن ذلك تحامل اهل الجور عليكم حتى ادركتم زماننا

واتاكم الله بدولتنا فانتم اسع الناس بنا واكرمهم علينا وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير)).

وكان موعوكا فاشتد به الوعك فجلس على المنبر وصعد داود ابي علي فقام دونه على مراقي المنبر.

(ناصيف اروع ماقيل من الخطب ص109).

رواية أخرى

فقال: "... الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا فايده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له فالزمنا كلمة التقوى وجعلنا احق بها واهلها وخصنا برحم رسول الله (ﷺ) وقرابته، وانشأنا من ابائنا وانبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته... ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾(الشورى: ٢٣)، وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء: ٢١٤)، وقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ (الحشر: ٦).

اعلمهم..فضلنا. وأوجب عليهم حقناً ومودتنا واجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلاً علينا... وزعمت الشامية (اهل الشام) الضلال، ان غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم... وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها، فجازوا فيها واستأثروا بها وظلموا اهلها... (ثم اضاف): انا السفاح المبيح والثائر المنيح... لكم منا ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسول الله (ﷺ) وذمة العباس.. أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله... **واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام...))!**

(الخلافة الاسلامية / 162).

هنا في خطاب السفاح عودة لنظرية احقية آل البيت بالسلطة والخلافة, معظم خطاب السفاح يرتكز إلى سوق الحجج لاثبات ذلك, الدولة في بداياتها وهي بحاجة لارساء شرعيتها.

من خطب ابي جعفر المنصور بمكة

((ايها الناس: انما أنا سلطان الله في أرضه اسوسكم بتوفيقه وتسديده وتاييده وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وارادته واعطيه بأذنه فقد جعلني الله عليه قفلا ان شاء ان يفتحني فتحني لاعطائكم وقسم ارزاقكم، فإن شاء أن يقفلني عليها اقفلني فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما اعلمكم به يقول:

"اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً"، ان يوفقني للرشاد والصواب وأن يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم".

(ناصيف 112).

في خطاب المنصور صورة واضحة عن الحكم باسم الله فهو انما "سلطان الله في أرضه" واتزام الخليفة هنا هو تجاه الله وليس إمام الناس الذين ليس لهم الا ان يضرعوا إلى الله "أن يوفقني للرشاد والصواب وان يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم".

بين العباسيين والطالبيين

من هم آل البيت؟

وخرج على ابى جعفر المنصور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وهو الملقب بالنفس الزكية، فأرسل اليه المنصور كتابا فيه (... انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض.... ولك عهد الله وميثاق وذمة رسوله أن اؤمنك وجميع ولدك واخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم...) فلما وصل الكتاب إلى محمد (النفس الزكية)) رد على المنصور بكتاب يقول فيه ((طسم تلك ايات الكتاب المبين... وأنا أعرض عليك الأمان بمثل ما عرضت علي... ان ابانا عليا كان الوصي وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده احياء. ثم قد علمت انه لم يطلب الأمر أحد مثل نيبنا

وشرفنا وحالنا... فلسنا من ابناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء، وليس يمت احد من بنى هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة... أنا أولى بالأمر منك، وأوفى بالعهد لانك اعطيتنى من الأمان والعهد ما اعطيته رجالاً قبلي فاي الأمانات تعطيني؟ أمان... عمك عبد الله بن علي أم أمان ابى مسلم!؟)).

فرد المنصور بكتاب يقول فيه: ((... بلغني كلامك... فاذا جل فخرج بقرابة النساء لتضل به الجفاء والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومية والاباء ولا كالعصبة والأولياء... وانكم بنو بنته (الرسول ﷺ) وانها لقرابة قريبة ولكم لا يجوز لها الميراث. ولا ترث الولاية، ولا يجوز لها الإمامة فكيف تورث بها... لقد طلبها (الإمارة) أبوك بكل وجه فاخرج فاطمة نهاراً ومرضها سراً ودفنها ليلاً فأبى الناس الا الشيخان (ابو بكر وعمر).... (و) لقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية زمزم فصارت للعباس بين اخوته فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر.. ولقد طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده.. (و) ميراث النبي له والخلافة في ولده... (لقد) حزنا عليكم مكارم الاباء وورثنا دونكم خاتم الانبياء...).

(الخلافة الاسلامية 163/ 164).

حجر زاوية الشرعية في الدولة العباسية, العصبية والقرابة حيث اعتبر بنو العباس أنهم الاحق بالخلافة بحكم صلة القرابة بالرسول ﷺ

وهو ما يبدو واضحاً في خطبة السفاح ومفرداته, أما المنصور فقد زاد على ذلك ان جعل نفسه سلطان الله في ارضه.

أما حينما واجههم الطالبيون بنفس الشرعية والقرابة لجأوا للتفريق بين قرابة العصبية وقرابة المرأة، حتى إذا لم ينفع ذلك تم اللجوء إلى حليف السلطة الأوثق على مر العصور السيف.

الخلاصة

من البيعة إلى التغلب، ومن الاستخلاف إلى التوريث

جدلية الإسلام والسلطة والقبيلة

تلقي البيئة بظلالها وآثارها على المقيمين فيها فتؤثر في طبيعة حياتهم وأنماط معيشتهم ومن ثم طبيعة علاقتهم ببعض وبالآخرين, وقد درج البشر على مر العصور على الإقامة وربما الاستقرار في الأماكن التي تتوفر فيها الموارد .والظروف اللازمة للحياة وهي أساساً الماء والغذاء والأمان, فعلى الغالب أن يستوطن البشر ويبنوا بيوتهم، ومن ثم مدنهم ومن ثم حضارتهم حول مصادر المياه, مثل وادي النيل ووادي الرافدين أو نهر التيبر في روما, أو أن تستقر بالمناطق الساحلية فتستغل البحر والشواطئ كما حصل مع الفنيقيين والإغريق، أو في الغابات كما حصل في أفريقيا والأمازون والهند.

وعلى الأغلب أن تتأثر حياة البشر ومِهنهم وتراتُبيَّتهم وعلاقاتهم بمدى توفر أو ندرة المصادر, ومدى حيازة أو تملك كل منهم لها, ولعل هناك تناسباً طردياً بين ندرة الموارد وصراع البشر، فكلما نَدَرَت هذه الموارد زاد الصراع عليها وزادت محاولات البشر أما للعمل لزيادة هذه الموارد كتحسين الري والزراعة والصناعة والرعاية, أو بالعمل على نهب وأخذ موارد الآخرين عبر زيادة القوة وصناعة الأسلحة وبناء النظم العسكرية والحربية، وقد شهد التاريخ أنماطاً من هذه وتلك حتى في نفس المناطق كما هو الحال في المثل الاسبارطي والاثيني حيث اعتمد الأول على بناء نظام عسكري صارم في حين اعتمد الثاني على المعرفة والبناء الديمقراطي.

جزيرة العرب صحراء شاسعة شحيحة الموارد, وهي قفر وفقر معاً, شحيحة المياه قليلة الموارد والثمار وقاسية المناخ, لم تتح هذه الطبيعة القاسية إمكانية الاستقرار حيث لا يوجد مكان يوفر المصادر بشكل دائم يصلح للاستقرار حوله فكان على الناس أن تستمر بالحل والترحال بحثاً عن الغذاء والماء النادرين، وهو ما فرض طبيعة معينة في المسكن "بيوت الشعر" وما قلل من الحيازات والممتلكات الشخصية للتخفيف من الحركة كما أن شح الموارد جعل الصراع عليها هو القانون وليس الاستثناء, فكان على الناس أن ترتب أمورها بحيث تكون خفيفة الحركة, قوية ومتماسكة ومتعاضدة وجاهزة دوماً للقتال إما للدفاع عن مواردها أو للإغارة والسطو على موارد الآخرين، وعليه كان النظام القبلي هو النظام الأنسب للحياة في هذه البقعة القاسية حيث تتجمع كل مجموعة من الناس تنتمي إلى جد واحد تربط بينها وشائج العصبية والتصاهر ترحل سوياً وتقيم سوياً يحميها فرسانها ويحكمها حكمائها بالتشاور والتراضي بين الجميع.

لم تسمح الطبيعة القاسية بنشوء دولة مركزية في الجزيرة العربية كما حصل مع غالبية الأمم, لربما نشأت حواضر ودويلات في الأطراف جنوباً "اليمن", شمالاً تدمر, الغساسنة, الأنباط, شرقاً "المناذرة" وذلك بسبب توافر الموارد وإمكانيات الاستقرار والقرب من الدول الأخرى, أما مركز الجزيرة ووسطها فلم ينشأ به أية دولة مركزية قبل الإسلام, بنيت بعض المدن البسيطة حول مصادر الثروة المحدودة مثل بساتين التمر في المدينة وعيون الطائف والكعبة في مكة، حيث تجتمع الآلهة المتعددة بتعدد القبائل بعد أن فشلت دعوات بانيها "إبراهيم" أبو التوحيد في أن تلقى آذانا صاغية, فالأصل هنا هو التعدد وليس التوحد حتى مع الآلهة، صحيح أن القبائل كانت تقصد مكة للحجيج والتجارة وصحيح أن هذا فرض نوعاً من التنظيم على القبيلة

المسيطرة على تلك المنطقة وهي قريش, تقاسمت بموجبه بطونها شؤون أدرة أعمال الحجيج المختلفة من سقابة ورفادة وحماية وإدارة وفض للمنازعات إلا أن هذه السلطات كانت بالتوافق، لاتشمل اي جباية أو تكليف, ولم تتعد مكة, أي لم يكن لها أية سلطة على القبائل الأخرى حيث يمكن القول إن كل قبيلة كانت تمثل دولة ذات سيادة على نفسها، دون أن تحدها حدود ارض أو مكان إنما لها مجالاً حيوياً تتحرك فيه وهي جاهزة دوماً للدفاع عنه في حال المساس به.

مع الإسلام ظهر شيء جديد تماماً هو الدعوة لإله واحد وعصبية جديدة هي عصبية الإيمان والتوحيد ومع ذلك بدأت تنشأ العلاقة المعقدة بين الإسلام والدولة والقبيلة, وهي علاقة لم تكن على مستوى واحد يوماً فمن استيعاب الإسلام للقبائل، وانقسام القبائل على خلفية الإيمان والإسلام إلى عودة انقسام الإسلام على خلفية قبلية ومن تصادم إلى تلاقي إلى استيعاب إلى توظيف متبادل, استمرت هذه الجدلية الثلاثية الإسلام, الدولة, القبيلة, تؤثر في حياة العرب وتتحكم بهم حتى يومنا هذا.

بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بدأت تتشكل ملامح دولة مركزية والاهم ملامح أمة جديدة هي الأمة العربية.

ومع حسم معركة حنين ضد هوازن وثقيف، بدا وكأن كيانا جديدا قد تشكل, وولاءاً جديداً قد وُضِع وكان ضمانة هذا وجود الرسول ﷺ الأعظم بقوته الشخصية وصلته الإلهية.

لننظر بداية التشكيل في وثيقة المدينة

"هذا كتاب من محمد النبي [رسول الله ﷺ]، بين المؤمنين والمسلمين من قريش و[أهل] يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، 2. أنهم أمّة واحدة مِن دون الناس المهاجرون من قريش على رَبعتهم يتعاقلون بينهم وهم يَفدُون عانِيَهم بالمعروف القسط بين المؤمنين. 4.

وبنو عَوف على رَبعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الحارث بن الخزرَج. ..... وبنو ساعِدة... وبنو... وبنو... وبنو الأوس... وأنّ ذمّة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس"

ووصية الوداع

"وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة..... أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدى كافراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت... اللهم فاشهد. أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى – ألا هل بلغت....اللهم فاشهد قالوا نعم – قال فليبلغ الشاهد الغائب".

وضع الرسول ﷺ في هاتين الوثيقتين الإيمان والولاء للإسلام فوق كل شيء بما فيه القبيلة التي لم يلغيها وإنما وضعها في مرتبة أقل من الإيمان.

دامت دولة الرسول ﷺ من سنة 1-11هـ ولربما أنها استقرت بثبات وتحولت إلى دولة مركزية لكل الجزيرة بعد غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة أي لم يفصلها عن وفاة الرسول ﷺ إلا ثلاث سنوات يبدو أنها لم تكن كافية لتغير الطبيعة القبلية العربية التي عادت فأطلت بقوة بمجرد وفاة الرسول ﷺ وبدأت تتفاعل وتتصارع ثلاثية الإسلام, السلطة, القبيلة حتى يومنا هذا.

خلال القرن الأول الهجري تحاور العرب وتنافسوا واختلفوا واقتتلوا حول فكرة من يحكمهم؟ وكيف؟ وحول تراتبية السلطة والقبيلة والإسلام "لمن الولاء الأول والأقوى؟" ولعلنا نمر على بعض "أيام العرب" الفارقة في القرن الأول الهجري بداية الدولة والأمة شكلت منعطفات في صياغة العلاقة والصراع والوفاق بين المفاهيم الثلاثة وصياغة مفهوم العرب للحكم والسلطة.

يوم السقيفة 11هـ

لم يثبت بشكل واضح أن الرسول ﷺ قد اختار شخصاً بعينه لخلافته واغلب الظن انه فعل ذلك كي لا يضفي القداسة على موقع الخليفة، حيث تكون شرعيته بشرية تعاقدية وليس دينيةً إلهيةً بتسمية من الرسول ﷺ.

الجدل الذي قام في سقيفة بني ساعدة استند في صلبه إلى العصبية والقبلية ولم يكن جدلاً في أصول الدين وحتى جدل الإمام علي والعباس وعموم بني هاشم كان مستنداً إلى صلة الرحم والقربى وليس إلى نص قرآني أو أصل من الأصول، ولم ير الإمام علي فيها تكليفاً إلهياً له وإلا لم يكن ليبايع أبا بكر فيما بعد ويخالف هذا "التكليف", وشخص بإيمان وقوة الإمام لا يمكن الاحتجاج على مواقفه بالرهبة أو مراعاة الظروف أو التفريط في حق من حقوق الله كما إدعى الخوارج فيما بعد.

ومع ذلك

لم يختلف أحدٌ, مهاجرون او أنصار أو قرشيون أو هاشميون" على ضرورة أو وجوب قيام الخلافة أو من "يرعى هذا الأمر".

استقر الأمر بعد طول نقاش إلى أن يكون أبو بكر الخليفة لسبقه ولصحبته أما فكرة ولاية أو إمامة القرشي فلم تكن أمراً مسلماً به، ولم يحتج احد بنص قرآني أو نبوي حول ذلك وإنما كانت المحاجة تسند إلى

العصبية والقربى والسبق, وذلك في مقابل احتجاج الأنصار بالقوة والنُّصرة والأرض.

الرّدّة 12هـ

حروب الردة تعكس العلاقة المعقدة بين الدين والسياسة والرياسة فعلى الرغم من أن الخليفة ليس معصوماً بحسب نصه شخصياً إلا انه اعتبر نفسه حارساً للدين وساهراً على تطبيقه وان هدف الدولة النهائي هو خدمة الدين.

لو لم يتصد أبو بكر للردة والمرتدين لم تقم أية دولة إسلامية فالتصدي بحد ذاته كان إعلانا أن هناك مؤسسة قائمة لحراسة الدين وتطبيقه والسوس به.

كما أن هناك بعداً آخر لحروب الردة وهو أن القبائل العربية وإن كانت قد قبلت حكم الرسول ﷺ لمكانته وقدسيته إلا أنها لم تكن بعد على استعداد لتقبل فكرة الدولة بعد وفاته, والرضوخ لسلطتها ودفع الزكاة "الضريبة" لها.

أطعنا رسول الله ما كان بيننا. .. فيا لعباد الله، ما لأبي بكر؟
أيورثها بكراً إذا مات بعده. .. فتلك لعمر الله قاصمة الظهر فحتى وقت قريب كانت كل قبيلة ترى في نفسها "دولة مستقلة" لها نظامها وهيكلها وقوتها توفر الانتماء والحماية لافرادها الذين تفاهموا على الزعامة والنظام بالتراضي.

ويبدو ان العرب لم يتقبلوا أو يستسيغوا فكرة الدولة ونظروا لها بعين الريبة, فللكثير منهم كان قبول الاسلام لا يعني بالضرورة قبول الدولة فكراً أو واقعاً وتحديداً تجاه الالتزام و الواجبات؟! اما الحقوق والمكاسب فمقبوله ومُرحَبٌ بها ,جريا على عادة الغزو والسلب القديمة والمتأصلة والتي رسخت قيم التغالب "والاستحواذ" بديلا

للانتاجية كقيم رئيسية ومرتكزات للتراتب الاجتماعي والرضا للبداوة على العكس من المجتمعات المدنية. علي الوردي "الأخلاق".

مقتل عثمان "الفتنة" 36هـ

لم يتوقع المسلمون وقد استبشروا خيرا بخلافة عثمان, أن تكون نهايته على هذا النحو المؤلم ورغم أن عمر قد حذر عثمان "فان وليت هذا الأمر فلا تحمل أحداً من بني أمية على رقاب الناس" إلا أن الزمن كان قد تغير والثراء قد زاد وأضحى إغراء السلطة أقوى من أي وقت مضى وكان من اعظم ما أخذه الناس على عثمان " افشائه العمل والولايات في اهله وبني عمه من بني أمية احداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ﷺ ولا تجربة لهم بالأمور. .... مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران".

يوم الجمل 36هـ

مبشرون بالجنة يقتلون مبشرين آخرين.. دراما الصراع على القوة استنادا لنفس الهدف.. لم يكن الدين طرفا رئيسياً في هذا ل صراع السياسي بامتياز, حيث لم يُكَفِّر أحدٌ أحداً وكيف يكونُ ذلك؟ والجميع, علي, طلحة, الزبير, عائشة من أهل الجنة بل إن أحد طرفي الصراع هو علي بوابة العلم والطرف الآخر من نأخذ نصف ديننا عنه عائشة "الحميراء".

ويمكن رد يوم الجمل إلى يوم مقتل عثمان والذي سمي بالفتنة الكبرى ولعل ملابسات مقتل عثمان وما رافقها من اضطراب في الرؤيا والرأي، وما سبقها من الخلاف والصراع وما تبعها من الفتنة والندم جعل الفقهاء فيما بعد يضعون معايير قاسية جدا لفكرة الخروج على الخليفة هذا إن لم ينكروها أصلاً.

وقد ذُكر عن عمر بن العاص أنه قال موصياً ابنه: "يا بني!! احفظ عني ما أوصيك به، إمام عَدْل خَيْرٌ من مطر وَبْل، وأسد حطوم خير من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم".

يوم صفين 37هـ

كسرت في هذا اليوم فكرة الأسبقية في الإسلام كشرط للخلافة فقد انتصر الطلقاء على المهاجرين والأنصار.

وقالوا علي إمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا

لاحظوا من! ابن هند لائكة كبد حمزة

لم تنتصر الأسبقية ولا العدالة وإنما القوة و التدبير, كما شهدت صفين بدايات إقحام القران في الخلافات السياسية, رفع المصاحف والاحتكام للقرآن، وما استتبع ذلك من تفسير وتأويل يخضع الدين للدنيا والأخطر أن ذلك كان مدخلاً للفكر التكفيري الذي بدأ بالخوارج.

يوم كربلاء 61هـ

في كربلاء انتصرت فكرة الوراثة على البيعة وفكرة القوة على الحق أو فكرة أن الحق مع القوة حتى لو كانت باغية

ولكن

عَمَّق استشهاد الحسين المهيب في كربلاء الفكرة الشيعية حول الإمامة وكرسها أي الإمامة, كعقيدة لا تقبل الشك والمساومة وارتقى بها إلى مستوى أركان الإسلام وأصوله كونها تكليف إلهي. ولعل فكرة الإمامة هي التي حفظت الاختلاف الشيعي على مر العصور كونها انتقلت من جيل إلى جيل وهي بلا شك أصل العقائد الشيعية وكل ما سواها يقل عنها أهمية, ولا يميزالتشيع عن بقية المذاهب أكثرمن تميز كل منها عن الآخر.

كما أن الاستشهاد المهيب وتداعيته اثبت وعلى المدى الطويل أن الحق أقوى من القوة وان بدت القوة هي المسيطرة آنيا, وهذا ما ابقي جذوة الأمل متقدة على مر مئات السنين ورغم كل الصعوبات وهو ما حافظ على روح الثورة وتحدي الظلم على مر العصور.

يوم الحرة 63هـ

اليوم الذي أسس لثقافة الطغيان والإذعان فقد طُلب من الناس أن يبايعوا على أن يكونوا "خَوَلً" ليزيد أي أن يخولوه ويوكلوه في أنفسهم يفعل فيهم ما يشاء لا حول لهم ولا قوة ولا حقوق ولا تعاقدية، وإنما إذعان، وأعتقد أن هذا الأمر استمر مع من تبع من الخلفاء والدول على مر العصور وصولاً إلى التمجيد المطلق للخليفة أو الأمير، وقد أعان على هذا لاحقاً فقه عدم جواز الخروج حتى على الأمير الظالم "سلطان غشوم ولا فتنة تدوم" ولعل هذا كرس فكرة الاستبداد وطغيان السلطان ويتفاقم هذا إذا ما قام الفقهاء ودوما قاموا بتشريع ولاية وليِّهم وتحصينها بالنص المقدس أما بالتصريح أو بالتأويل.

يوم مرج راهط 65هـ

كرس أن الولاية للقوة وأن قيام الدولة يستند إلى العصبية والغلبة.

وأنا اعتقد أن اثر هذه الأيام استمر في صياغة شكل الدولة والحكم في العالم الإسلامي، حتى يومنا هذا وقد كانت عناصر قيام الدولة الأموية ومن ثم العباسية أو الفاطمية وحتى العثمانية نفس العناصر - العصبية, القوة والقهر ثم البيعة كنتيجة للقوة ومن ثم كمُشَرِّعٍ لها.

الديمومة – الاستخلاف – الوراثة...

لا تداول للسلطة في التاريخ الإسلامي حكم حتى الموت أو الخلع!

ولربما ابتدأ الأمر دعوة استندت إلى عصبية ثم ساد الاستخلاف والوراثة.

أو ابتدأت بالقوة والغلبة "إمامة المُتَغَلِّب" ثم يسعى المتغلب لِأَخذ البيعة بالسيف ثم يستخلف ثم يأخذ المستخلف البيعة التي ما عادت تستلزم جموع المسلمين وإنما استعيض عنهم بمن يسمون "أهل الحل والعقد" وهؤلاء ليس لهم تعريف واضح وإنما كانوا على الأغلب جمع من وعاظ يضاف إليهم زعماء العشائر أو القبائل يُرَغِّبهم الجاه والمال ويُرهبهم السيف وهكذا استخلاف وراء استخلاف، لحين ظهور مُتَغَلِّب جديد.

لم تختلف طبيعة الدولة على مر العصور وما اختلف كان نوعية العصبية أموية أو عباسية أو فاطمية أو تركية أو... والمبرر المناسب لها بحسب الزمان والمكان.

بدأت السلطة العربية بيعةً لصاحب السبق والأفضلية يستخلف من يليه وانتهت تغلباً لصاحب الشوكة والعصبية يورثها لذريته، وفي الحالين لم يكن لها مدى زمني لا تنتهي إلا بالوفاة أو القتل.

ومع الزمن تراجعت التعاقدية والمحاسبة لصالح الطغيان والإذعان وتحول الخليفة من ممثل للناس إلى ممثل لله وتراجع شعار أبو بكر "أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم" ليخلي المكان لشعار أبو جعفر المنصور "إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وحارسه على ماله اعمل فيه بمشيئته"

على أن الانتقال من هذا إلى ذاك لم يمر دون مقاومة وصراعات وحروب وتحولات بالفكر والإقناع حينا وبالقوة أحيانا, فمن "الفتنة" الى

"المحنة" و"الجبر" و"القدر" الى "طلاق المستكره" كان الصراع على النفوذ والقوة هو جوهر الصراع الفكري والفقهي.

في البداية حاربت القبيلة الإسلام ثم استسلمت له ووالته ثم جعلت منه سلاحاً للسيطرة على القبائل الأخرى ,وفيما بعد تحدت القبائل فكرة الدولة ثم هُزمت أمامها في حروب الردة, ثم اندمجت القبائل في الدولة وصبغنها بصبغتها فصار اسم الدولة يسمى باسم القبيلة أو العشيرة كأن يقال دولة بني أمية أو بني العباس أو بني حمدان أو بني عثمان..واستمرت علاقة القبيلة بالدولة علاقة انتفاع متبادل أحياناً وتربص أحياناً أخرى, يوالي أبناء القبائل الدولة ترغيباً أو ترهيباً مادامت قوية ويتربصون بها في حال ضعفها وظهور "ما" أو "من" هو أقوى.

أما الدولة أو السلطة فظهرت لحراسة الدين وسوس الدنيا به وانتهت باستعمال الدين لحراسة السلطة والتشريع لها, وقد بدأت بعض الدول كدعوات دينية، وانتهت سلطة وحكماً متوارثاً, حصل هذا نسبياً مع العباسيين وحصل مع المرابطين والموحدين والاغالبة وحديثا مع الوهابيين والمهدية.. إذ ما إن يستوي الأمر لـ "الدعوة" أية دعوة, وتتسلم زمام قيادة "الدنيا" لا تلبث إن تستسلم للدنيا مسلمة إياها قيادة الدين. وكان على كل صاحب دعوة أو طموح أن يأخذ مُزعةً من الدين يزين بها رايته، إلى أن يستتب الأمر فيكون لكل حادث حديث.

والحقيقة إننا نكاد نعيش نفس الصراعات والمواجهات التي حدثت مع بداية تكون الأمة في القرن الأول الهجري, ويجذبني علم النفس التطوّري جانبا ليقول لي أن تلك المشاكل لم تُحل من ذلك الوقت لذلك هي تُطِلُّ برأسها عند المنعطفات الصعبة تماماً، كما يحدث مع الإنسان الفرد يتطور من مرحلة لمرحلة وفي كل مرحلة هناك عقدة

يتجاوزها لينتقل من الطفولة إلى الفُتوَّة إلى الشباب إلى النضج والاستقرار, فمثلاً في أول سنة من العمر يتعلم الطفل أن يثق أو لا يثق بمن حوله من خلال حنان إلام وإشباع الرضاعة، ثم يحل عقدة السيطرة على أعضائه ومن ثم استقلاليته المستقبلية وفي السنوات من السادسة حتى الثانية عشرة يتعلم الثقة بنفسه وفي فترة المراهقة والشباب تتشكل هويته وهكذا، مرحلة مرحلة يتطور الإنسان نفسياً وعقلياً وصولاً إلى النضج وتحقيق الذات.

إذا لم يحل أحد التناقضات في مرحلته العمرية الخاصّة فأن هذا التناقض يُرحّل إلى الفترة اللاحقة ويحمله الإنسان معه على شكل توترات نفسية وعصبية, أو عاطفية, أو عقلية أو سلوكية أو كلها معاً, تظهر وتكشف عن نفسها في اللحظات الحرجة, لحظات الضعف, الحسم أو أوقات الشدائد متسللة أحياناً على نحوٍ من قلقٍ خفيف ومنفجرة أحياناً أخرى على نحوٍ من كآبة كبرى أو فُصَام عقليٍ أو حتى انتحار.

ما هي علاقة الدين بالدولة؟ الإسلام بالحكم؟ العروبة بالإسلام؟ من يحكم؟ كيف نختار من يحكم؟ لمن الثروة؟ ومن يتصرف بها؟

عبر العصور نحمل كل هذه التناقضات وغيرها من العقد التي لم تحل في سياق تطور أمتنا العربية، لتعاود الظهور عند كل منعطف حرج على شكل انفجار وصدامات دموية رهيبة بين الإسلام والدولة حينا وبين الدولة والقبيلة حينا وبين العشائرية والإسلام أحياناً أخرى تتلوّن فيها المواقف، وتتبدل المواقع تبعاً لتغير المصالح.

بين أوروبا والعالم العربي

في أوروبا ومع تراكم ثروات الاكتشافات الجغرافية ومعارف عصر التنوير ومن ثم الثورة الصناعية , تطورت وسائل الانتاج

وتطور معها كم ونوع السلع المنتجة, وفتح التطور في المواصلات الآفاق لنقل هذه السلع الى أي مكان ,

كان لهذه الحركة ان تصطدم مع البنى الاقطاعية القديمة القائمة على الاسوار, تحديد الحركة, وتشديد الاحتكار على الفلاحين والمنتجين في حدود الاقطاعية أو الامارة او المملكة المبنية على تحالف الاقطاعيات.

لم تناسب البنى القديمة القوى الجديدة ورفضت القوى القديمة اية بنى جديدة تغيرمواقع المصالح.

ولما كان معظم الملوك والامراء الاقطاعيين يعتقدون انهم يستمدون سلطتهم من العناية الالهية مدعومين بذلك من الكنيسة , كان لا بد لهم ان يلجأوا لهما "الله والكنيسة لحماية السلطة ومكتسباتها , اما القوى الجديدة فلجأت الى الادعاء المضاد بضرورة فصل الدين عن الدولة "مالله لله وما لقيصر لقيصر" وكذلك دعت الى ضرورة ابرام "عقد اجتماعي" بين الحاكم والمحكوم على أن يكون الله محايدا.

حصل الصدام المحتوم في كل انحاء القارة الاوروبية وامتد أيضاً الى لمستعمرات, كان الصراع دمويا في غالب الاحيان, انتهى الى تغييرات جذرية كما حصل في الثورة الفرنسية والتحول الى الجمهورية, او الى نتائج توافقية كما في بريطانيا حيث تحولت الى الملكية الدستورية البرلمانية, كما اضطرت الكنيسة الى التراجع والقبول بدور الارشاد والتوجيه وتراجعت عن حق الثواب والعقاب, اما الدول والحدود والنظم فتغيرت لتناسب التجمعات القومية والكتل الكبرى بدل الاقطاعيات والدوقيات وصارت الحدود ترسم بفعل المصلحة القومية بدل المصلحة الاقطاعية.

على هذا النحو تغيرت أوروبا من عصر الاقطاع الى الرأسمالية والدولة القومية "الحديثة" وهي سائرة الآن نحو التجمع العملاقي متعدد

القوميات وإذا كان الأول استند الى الثورة الصناعية فإن القادم يستند وعلى مايبدو الى الثورة المعلوماتية. الأولى خلقت الكيانات القومية والثانية تُعَوْلِم, وتقصر المسافات وتصنع التجمعات الفوق قومية, و"القرية العالمية" ومن يدري عما ستؤول الية الامور في المستقبل وعلى ماذا سيستقر توازن المصالح والقوى والأفكار؟

اما في العالم العربي فعلى مايبدو أن الامور لم تاخذ ولن تأخذ نفس المنحى, تفاعلات الاسلام والقبيلة والسلطة أخذت شكلاً ربما يكون مختلفا عن تفاعل الكنيسة والمجتمع والسلطة في الغرب, فالدولة هنا لم تتكون الا بفعل الاسلام, والقبيلة كانت قبل الاسلام واستمرت معه وبعده قوة فاعلة حتى اليوم, ولربما استحوذت على الاسلام في مراحل وعلى السلطة في مراحل وعلى كليهما في مراحل أخرى, أسْمَت الدول باسماء القبائل والعشائر "الاموية العباسية, بو الاحمر, بنو عثمان..." وحولت المذاهب الى طوائف والخلافات الى صراعات, في الجمل وصفين ومرج راهط وانتهاء بتفجيرات جسر الكاظم وكربلاء.

وكل السياقات لم تسلم من التدخلات الخارجية ولعنة الاستعمار الذي جذبه تحالف الموقع الاستراتيجي والبترول المتحالفان مع الضعف والركود.

لم ينسخ تحول العرب الى أمة البنية القبلية ولربما أن الامة كانت اشبه بتحالف القبائل منها الى تآزر المواطنين فاحتفظت كل قبيلة بهيكلها وعادتها التي وصلت الى مستوى القوانين النافذة, اكثر من القوانين التي تسنها الدولة. ولربما حافظت على نوع من الكينونة ,حتى في مراحل اضمحلال الدولة ,كما فعلت القبائل في الصومال بعد اضمحلال الدولة وكما فعلت الطوائف في لبنان اثناء الحرب الاهلية.

القبيلة والعشيرة وصلة الرحم بقيت الوحدة الاساسية للمجتمع, على اساسها تتوزع الثروة والقوة والخوف والرهبة ومنها تنبع الحماية والمَنعة, ولها وبسببها يعطى الولاء او البيعة وبسببها يتغير هذا وتُسحب تلك, وقد تلبس لبوس السياسة فتصبح عصبية وحتى أحزابا وقد تلبس لبوس الدين فتصبح طائفية.

على مدى العصور لم تنجح القبيلة والقبلية العربية فقط في الحفاظ عل نفسها كبنية اساسية, وانما تسللت لتصبغ كل الاشكال الاخرى الاكثر "حداثة", فتجد القبلية في الجيش, في مؤسسات الدولة, في البرلمان "لعل معظم مرشحو البرلمانات في العالم العربي هم مرشحوا قبائل", وحتى في الجامعات والمؤسسات التعليمية التي غالباً ما تتم فيها التعيينات على اسس القبلية والعشائرية حالها حال بقية المؤسسات.

و كما مثلت اسوار الاقطاع في اوروبا الحواجز الرئيسية امام انطلاق قوى الانتاج والتطور والدولة الحديثة تمثل القبيلة الحاجزوالمانع الفعلي أمام التطور في العالم العربي, تحد من حركة قوى التحرر والانتاج والابداع وتحشرها وتشذبها لتنحشر داخل قمقم القبيلة أو مصلحتها, شهادة الميلاد, الولاء, الانتماء, المذهب, الدين. الاصل, الفصل كلها محددات في وجه المواطنة والانطلاق.

لن يحصل التقدم في العالم العربي مالم تسقط سلطة القبلية والطائفية أمام سلطة العقل والانتاجية كما سقطت أسوار الاقطاعيات امامهما , ويبرم ال "عقد الاجتماعي" بين المواطنين وليس بين القبائل والعشائر والطوائف.

عقد مبني على الحرية والديمقراطية والتداول السلمي.

لا استطيع أن انهي دون أن امر وبحكم المهنة على الاقل على الجوانب النفسية لمسألة الحكم,إذ لطالما حيرني تساؤل حول نفسية الحاكم ورؤيته لما حوله من ظروف ومحكومين ومريدين.

هل تغير القوة والسلطة نفسية الناس؟

هل تتغير نفسية الشخص مع وصوله للحكم؟ وهل تتغير رؤيته للامور؟ هل يراها كما كان يراها سابقاً؟

لو نظرنا حولنا في الحياة العامة لوجدنا كثيرا من النماذج التي تعاملنا معها تتغير بتغير الظروف فمثلاً هذا اليساري الدائم الانتقاد والتحليل نجده يتغير عند أول منعطف أو أول منصب يمسكه فيتحول الى مدافع عما كان ينتقده ولربما يصبح أكثر شراسة في ذلك من سابقيه بل وتجده في كثير من الاحوال متخاصما مع ماضيه ومع ما كان يمثل ويرى الحق والصواب صواباً آخر غير الذي كان يراه بالامس. فلماذا يحصل ذلك؟

شيء آخر لفت نظري دوما وهو كيف يقع الزعماء في أخطاء بادية للعيان ولمن هم أقل منهم معرفة وتجربة ودراية؟ بل وكيف يقترفون أخطاء اقترفها غيرهم دون ان يتعلموا منها؟ وكيف يسوغون لانفسهم ذلك؟ لو نظرت في كتب التاريخ لوجدت أن هتلر مثلا كرر نفس أخطاء نابليون في محاولته للسيطرة على اوروبا و بل وكرر خطأً بعينه وهو غزو روسيا, وهذا ما قد يشرحه لك باستفاضة طالب في سنة اولى كلية اركان او كلية علوم سياسية وتسال نفسك هل يعقل أن يكون هذا الامر الذي يعرفه أي دارس بسيط قد فات على قائد بوزن هتلر او نابليون؟ ما الذي حصل؟

يقيني أن هتلر قد درس تجربة نابليون وعرفها ولكن حين جاء دوره نظر من موقع قوته الذي لم توازيه قوة هذا أولاً ونظر من موقع قناعاته الخاصة التي يؤمن بصحتها ايماناً مطلقاً وهذا ثانياً ونظر من موقع شخصه الذي يعتقدة مميزا عن الكل وهذا ثالثاً فتوصل الى القناعة بأنه يقدر ان يفعل مالم يقدر علية نابليون فسار الى الكارثة مزهواً متفاخراً.

نحن نعرف ان لدينا جميعاً رغبات جامحة وغرائز غير محدودة ومتطلبات لا نهاية لها نحب جميعا ان نحققها, فمعظم الناس ان لم يكن كلهم يحب ان يكون سعيدا وربما الاسعد, قوياً وربما الاقوى, غنياً وربما الاغنى. جميلاً وربما الاجمل, وهكذا....كل شخص يسعى لاشباع غرائزه وتطلعاته وكلما حقق شيئا حاول السعي لتحقيق شيء أكبر, وهذا من طبائع الخلق والكائنات جميعا وليس البشر فقط, اما ما يميز البشر فهو العقل والبعد الاجتماعي واضطرار الانسان الى موائمة غرائزه ومتطلباته مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه وقضاء جل جهده في هذه الموائمة.

يحاول ان يحقق شيئا ما او يلبي غريزة ما فيصطدم مع قيم المجتمع وقواه ماكان منها واقعاً, أو ما تمثله واستوعبة منذ الطفولة عبر سلطة الاب, فإذا ما توازنت الرغبات مع قوة الكبت توازن سلوك الانسان, الا أن الكبت لا ينهي الرغبة نهائيا حيث تستمر للبحث عن طرق للتعبير عن نفسها أو تحقيقها متجاوزه في كثير من الاحيان قوة النفس أو ما يسمى" الانا" مؤدية بذلك الى سلوكيات قد يراها المجتمع غير طبيعية أو مَرَضية تستوجب العلاج, او غير مالوفة تستوجب الاستنكار, و في أحيان كثيرة ربما غير قانونية تستوجب العقاب.

الصراع بين ما نريد وما نقدر عليه هو ما يحدد شخصياتنا التي تتكون بطبيعة الحال مما ورثناه من بناء عضوي ونفسي ومما تمثلناه من قيم اجتماعية.

البعض منا قد يصل الى قناعة ان هذا هو الممكن وأنه لن يُحَصل أكثر فيعيش قانعا مرتاحا احيانا قليلة , مغلوبا على امره أحيانا كثيرة.

البعض الآخر لا يستطيع فدوافع اللذة وغرائز القوة واشباع الرغبة قويةلديه لا تستطيع الانا مواجهتها فتدفعه الى اساليب متباينة ومختلفة لتلبيتها وهو ما يسمى في علم النفس "اليات الدفاع " وهي

محاولات الأنا لموائمة الرغبات مع القيم الاجتماعية المتمثلة داخليا وهي آليات واعية أحياناً وغير واعية في أحيان أخرى, من هذه الاليات مثلا التسامي وهي ان تربط هدفك الخاص بهدف اعلى وأسمى كان يربط مرشحون للبرلمان نجاحهم او أهدافهم بتطبيق اشياء مقبولة اجتماعيا مثل تطبيق الاسلام او العدالة أو أن يعلن أنه انما يريد مكافحة الفساد وهذه ترفع من مستوى ما يريده هو الى مستوى القيمة الاجتماعية التي يسهل تقبلها والدفاع عنها.

من الآليات ايضا الية الازاحة كأن تحول مستوى غضبك وانفعالك من شخص او جهة لا تقدر عليها الى جهة اخرى ذات "حيط أوطأ", كان يتم مهاجمة السكرتيرة عند عدم القدرة على التصدي للمدير او مهاجمة بطانة الحاكم عند عدم القدرة على مواجهته ومن ذلك المثل الشعبي "لم يقدر على الحمار فقدر على البردعة".

من الاليات أيضاً "الإسقاط" وهو الصاق ما هو بداخلك وتخجل منه او لا تستطيع ابرازه بالآخرين ومن هنا المثل العربي "رمتني بدائها وانسلت".

ومنها ايضاً ما يسمى خلق الانفعال وهو ان تهاجم الشيء الذي ترغب به بشدة وتنتقد حصول الآخرين عليه انتقادا لاذعا ويكون ذلك تعبيرا عن رغبتك المكبوتة فيه, كان يكثر شخص من انتقاد المناصب واساليب اختيار المرشحين لها حتى إذا ما وصلت اليه كان الوضع مغايرا ومن ذلك قول المعري

أَعيبُ الَّتي أَهوى وَأُطري جَوارِياً يَرَينَ لَها فَضلاً عَلَيهُنَّ بَيِّنا
بِرَغمي أُطيلُ الصَدَّ عَنها إِذا بَدَت أُحاذِرُ أَسماعاً عَلَينا وَأَعيُنا

لن يتسع المجال هنا لشرح الاليات الدفاعية فهذا موضوع طويل وشائك ولكن ما يهمنا هنا هو ان الصراع بين رغباتنا وما يمكن تحقيقه

منها هو ما يرسم سلوكنا وشخصياتنا وهي بالمحصلة درجة موائمتنا بين هذه وتلك وطبيعة الالية الدفاعية المستخدمة لذلك.

لننظر الى انفسنا بعمقٍ وتفحص فعندما نصبح آباءاً نحاول ان نوفر لابنائنا ماكان ينقصنا وكثيراً ما نرغب ان يقوم اطفالنا باشياء اشتهينا ان نفعلها ولم نتمكن وكم نصاب بالاحباط والحيرة إذا ما وجد الواحد منا ابنه غير متلهف او معني بذلك.

السلطة هي بمثابة الانتقال الى طور الابوة تتيح لك ان تفعل مالم تكن قادرا على فعله صغيراً ما عدا أن الابوة هي ابوة في مواجهة ابوة اعلى أو أنا في مواجهة أنا عليا هي المجتمع والقيم, أما الحكم فهو ابوة مطلقة لربما لا ترى ما يحدها في المجتمع الواحد فتتغول ولكن في أحيان كثيرة ومع انفتاح المصالح والثقافات لربما ينشأ أب آخر "من الخارج هذه المرة" يفرض هيبة وآليات دفاعية وسلوكيات جديدة ومن منا لم يلاحظ مثلاً ضعف الحاكم العربي واستحذائه امام سفير أو مبعوث أمريكي وتَنَمُّره على اشقائه في الوقت نفسه.

ولعل علاقة الحكام العربِ مع قضية فلسطين من الامثلة الواضحة على ذلك أنظر مثلاً قوتهم في التعاطي مع الفلسطينيين مقابل ضعفعم بالتعاطي مع اسرائيل فتجد فيه مختلف انواع العقد وهو مايشبه أخفاء اثار الجريمة كتعويض عن عدم القدرة على محاسبة المجرم ومعاقبة الضحية لكونه ضحية ومرآة للعجز الذاتي كمن يقتل أخته لانها اغتصبت في حين لا يجرؤ على عمل شيء للمغتصب ولربما يحول عاره فخرا لمجرد انه قتلها.

في السلطة إذن تنفتح امامك السبل لتلبية معظم رغباتك المكبوتة ولعل في تلك اللذة ما يغري ويعمي عن أي شيء آخر اللهم الا البقاء فيها والحفاظ عليها ومن هنا يبدو أن الحفاظ على الموقع او" الكرسي" يكون أساس ومنبع كل السياسات وهدفها في الوقت نفسه.

في العالم الغربي جهد المشرعون للحد من تغول السلطة ولانهاء أبويتها وتحويل الحاكم من أب الى حاكم منتخب تنبع شرعيته من رضا الناس عنه وموافقتهم عليه وذلك استلزم مبدئين رئيسيين هما التداول والرقابة.

فترةحكم محدودة بسقف زمني واضح ومشتركه مع هيئة أو هيئات رقابية وتنقيذية كالبرلمان والقضاء والصحافة تراقب ونرصد وفي النهاية تحاسب.

لن يتجدد العقد او الإنتخاب الا إذا اثبت المنتخَب للمنتخِب انه عمل لصالحه وخدمَه وبالتالي يستحق الانتخاب مرة أخرى. لذلك فهو مضطر لمراعاة سلوكه ليضمن الاستمرار , موظف لتدبير شؤون الناس تنبع صلاحيته منهم ومن تفويضهم له وخاضع لمحاسبتهم, أما عندنا فهو أبٌ لهم ومصدرِ قِيَمهم, تنبع سلطته من نفسه ومن القوة التي بتصرفه وليس خاضعاً لمحاسبتهم ولا مضطراً لإرضائهم.

لعل ابلغ ماي عبر عن التبدل النفسي للحاكم في التراث العربي هو الحوار الشهير بين الرسول والمقداد بن الاسود أول فارس بالاسلام تقول الرواية" قال المقداد ﷺ: استعملنى رسول الله على عمل, فلما رجعت, قال : "كيف وجدت الإمارة؟" قلت : يارسول الله! ما ظننت إلا أن الناس كلهم خول لي... لقد جعلتني أنظر الى نفسي كما لو كنت فوق الناس، وهم جميعاً دوني..

والذي بعثك بالحق، لا اتآمرّن على اثنين بعد اليوم، أبداً.. والله لا ألى على عمل ما دمت حياً.

(ان السعيد لمن جنّب الفتن)."

المراجع

1- تاريخ الطبري

2- ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة

3- الكامل في التاريخ، ابن الأثير

4- ابن كثير ، النهاية في الفتن والملاحم

5- ابن خلدون

6- الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية

7- نهج البلاغة

8- طه حسين، الفتنة الكبرى

9- قصص العرب

10- الأصفهاني، مقاتل الطالبيين

11- حسين عطوان، الأمويون والخلافة

12- الإمام محمد ابو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها أزهر عصورها عند العرب

13- القاضي الشيخ محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الخلافة الراشدة

14- محمد عمارة، الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية

15- محمد سعيد العشماوي، الخلافة الإسلامية

16- أحمد فريد الرفاعي، التذييل

17- أحمد أمين، ضحى الإسلام

18- كامل علي ابراهيم رباع، نظرية الخروج في الفقه السياسي الاسلامي

19- اميل ناصيف، أروع ما قيل من الخطب

20- البداية والنهاية

21- الجاحظ، البيان والتبيين

22- السيوطي، تاريخ الخلفاء

23- محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر

24- محمد أحمد عاشور، خطب أمير المؤمنين

25- ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري، إبراهيم بيضون.

26- أحمد أمين، فجر الاسلام.

27- العقد الفريد

28- الموسوعة الشعرية – الشعر ديوان العرب

❖ ملاحظة: نقلت كثيراً من النصوص الواردة في الكتاب عن الموقع الاسلامي الممتاز:

❖ نداء الإيمان http://www.al-eman.com

جـــدول تاريخـــي*

محمد رسول الله ﷺ			1 – 11 هـ
الخلفاء الراشدون			
الخليـــفة	**التـــاريخ الهـــجري**	**التـــاريخ الميــــلادي**	**ملاحظـــات**
أبـو بكـر الـصديق رضي الله عنه	13-11	634-632	
عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه	23-13	644-634	قتل
عثمـان بـن عفـان رضي الله عنه	25-23	656-644	قتل
علي بـن أبـي طالـب رضي الله عنه	40-35	661-656	قتل

الحسن بن علي رضي الله عنه	40	661	تولى الخلافة ستة أشهر فقط

الخلفاء الأمويون	المدى الزمني		المعاصرون من أئمة الشيعة
معاوية بن أبي سفيان	41-60هـ	755-788م	الإمام علي- الحسن
يزيد ابن معاوية (يزيد الأول)	60-61هـ	680-683م	الإمام الحسين
معاوية ابن يزيد (معاوية الثاني)	64-64هـ	683-683م	الإمام علي بن الحسين "السجاد"
مروان ابن الحكم (مروان الأول)	64-65هـ	684-685م	الإمام علي بن الإمام الحسين "السجاد"
عبد الملك ابن مروان	65-86هـ	685-705م	الإمام علي بن الحسين "السجاد"

الوليد ابن عبد الملك (الوليد الأول)	86-96هـ	705-715م	الإمام محمد الباقر
سليمان بن عبد الملك	96-99هـ	715-717م	الإمام محمد الباقر
عمر بن عبد العزيز بن مروان	99-101هـ	717-720م	الإمام محمد الباقر
يزيد بن عبد الملك (يزيد الثاني)	101-105هـ	720-724م	الإمام محمد الباقر
هشام بن عبد الملك	105-125هـ	724-743م	الإمام محمد الباقر
الوليد ابن يزيد (الوليد الثاني)	125-126هـ	743-744م	الإمام جعفر الصادق
يزيد ابن الوليد (يزيد الثالث)	126-127هـ	744-744م	الإمام جعفر الإمام الصادق
إبراهيم ابن الوليد	126-127هـ	744-744م	الإمام جعفر الصادق

مروان ابن محمد (مروان الثاني)	127-132هـ	744–749م	الإمام جعفر الصادق

الخلفاء العباسيون	**المدى الزمني**		**المعاصرون من أئمة الشيعة**
عبدالله بن محمد بن علي (أبو العباس السفاح)	132-136هـ	749–754م	الإمام جعفر الصادق
عبد الله بن محمد (أبو جعفر المنصور)	136-158هـ	754–775م	الإمام جعفر الصادق/ الإمام موسى الكاظم
محمد بن عبد الله المنصور (المهدي)	158-169هـ	775– 85م	الإمام موسى الكاظم
موسى بن محمد المهدي (الهادي)	169-170 هـ	785– 786م	الإمام موسى الكاظم

هـارون بـن محمـد المهدي (الرشيد)	170-193 هـ	786– 809م	الإمام موسى الكاظم/ الإمام علي بن موسى 'الرضى'
محمـد بـن هـارون الرشيد (الأمين)	193-198 هـ	809–812م	الإمام/ علي بن الإمام موسى 'الرضى'
عبـد الله بـن هـارون الرشيد (المأمون)	198-218 هـ	812–832م	الإمام/ علي بن الإمام موسى 'الرضى/ الإمام محمد الجواد
محمـد بـن هـارون الرشيد (المعتصم)	218-227 هـ	832–842م	الإمام محمد الجواد/ الإمام علي الهادي
هـارون بـن محمـد المعتصم (الواثق)	227-232 هـ	842–847م	الإمام علي الهادي
جعفـر بـن محمـد المعتصم (المتوكل)	232-247 هـ	847–861م	الإمام علي الهادي

محمد بن جعفر المتوكل (1) (المنتصر بالله)	248-274 هـ	862 -861م	الإمام علي الهادي
أحمد بن محمد المعتصم (المستعين بالله)	252-248 هـ	866-862م	الإمام علي الهادي
محمد بن جعفر المتوكل (2) (المعتز بالله)	255-252 هـ	869-866م	الإمام علي الهادي/ الإمام الحسن العسكري
محمد بن هارون الواثق (المهتدي بالله)	256-255 هـ	870-869م	الإمام الحسن العسكري
أحمد بن جعفر المتوكل (المعتمد على الله)	279-256 هـ	892-870م	الحادي عشر محمد بن الحسن الثاني عشر المهدي المنتظر

أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل (المعتضد بالله)	289-279 هـ	902–892م	
علي بن أحمد المعتضد (المكتفي بالله)	295-289 هـ	908–902م	
جعفر بن أحمد المعتضد (المقتدر بالله)	320-295 هـ	932–908م	
محمد بن أحمد المعتضد (القاهر بالله)	322-320 هـ	934–932م	
محمد بن جعفر المقتدر (الراضي بالله)	329-322 هـ	940–934م	
إبراهيم بن جعفر المقتدر (المتقي بالله)	333-329 هـ	944–940م	

عبد الله بن علي المكتفي (المستكفي بالله)	334-333 هـ	945–944م	
الفضل بن جعفر المقتدر (المطيع بالله)	363-334 هـ	974–946م	
عبد الكريم بن الفضل المطيع (الطائع بالله)	381-363 هـ	991–974م	
أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر (القادر بالله)	422-381	1021–991م	
عبد الله بن احمد القادر (القائم بأمر الله)	467-422 هـ	1075–1021م	

عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم (المقتدي بأمر الله)	467-487 هـ	1075–1094م	
أحمد بن عبد الله المقتدي (المستظهر بالله)	487-512 هـ	1094–1118م	
الفضل بن أحمد المستظهر (المسترشد بالله)	512-529 هـ	1118–1135م	
منصور بن الفضل المسترشد (الراشد بالله)	521-530 هـ	1135–1136م	
محمد بن أحمد المستظهر (المقتفي لأمر الله)	530-555 هـ	1136–1160م	

يوسف بن محمد المقتفي (المستنجد بالله)	555-566 هـ	1160–1170م	
الحسن بن يوسف المستنجد (المستضيء بأمر الله)	566-575 هـ	1170–1180م	
أحمد بن الحسن المستضيء (الناصر لدين الله	575–611 هـ	1180–1225م	
محمد بن أحمد الناصر لدين الله (الظاهر بأمر الله)	622-623 هـ	1225–1226م	
منصور بن محمد الظاهر بأمر الله (المستنصر بأمر الله)	623-640 هـ	1226–1242م	

عبـد الله بـن منـصور المستنـــــصر بـــــالله (المستعصم بالله)	640-656 هــ	1242-1258م	

ملخّص الخلافة ومدة الحكم والعاصمة

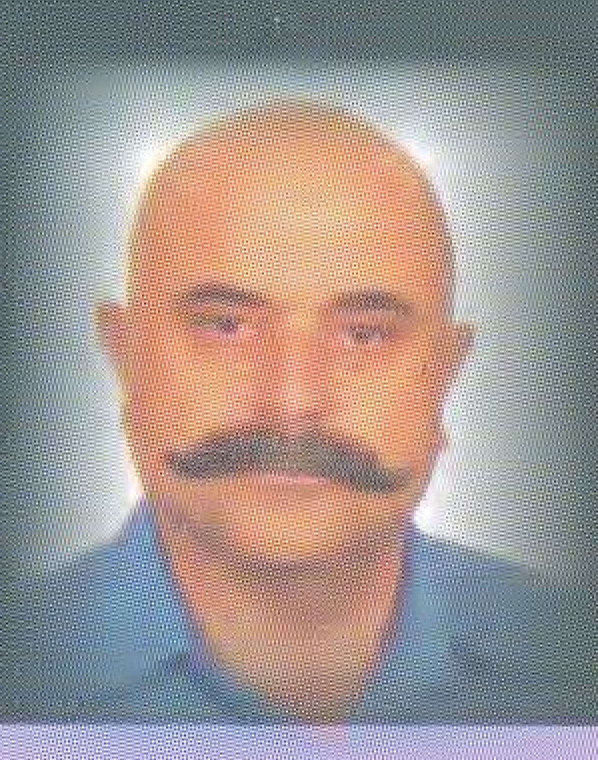
م	الدولة	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	مدة الحكم	العاصمة أو بداية النفوذ
1	الراشدة	11-41	632-661	30 سنه	المدينة المنورة
2	الأموية	41-132	661-749	91 سنه	دمشق
3	الأندلس	132-422	755-1030	284 سنه	الأندلس
4	العباسية	132-656	749-1258	524 سنه	بغداد
5	الطولونيون	254-292	868-905	38 سنه	مصر
6	الإخشيديون	334-358	935-969	34 سنه	مصر، الشام
7	الفاطميون	298-567	911-1171	269 سنه	القاهرة

8	الحمدانيون	394–315	1003–929	77 سنه	الموصل، حلب
9	بنو زنكي	619–521	222–1127	98 سنه	الموصل، حلب
10	الأيوبيون	626–564	1229–1169	62 سنه	مصر، الشام، الجزيرة
11	البويهيون	- 334 447	1055– 945	113 سنه	العراق
12	السلاجقه	550–447	1157–1055	105 سنه	إيران، العراق، سوريا
13	المغول	754–654	1353–1345	100 سنه	منغوليا، آسيا الوسطى
14	المماليك	923-648	1517–1250	275 سنه	القاهرة
15	الادارسه	375–172	985–788	203 سنه	شمال إفريقيا، فاس

16	الأغالبة	297–184	908 –800	113 سنه	القيروان، العباسية
17	المرابطون	541–448	1147–1056	93 سنه	الرباط، شمال إفريقيا
18	الموحدون	674–515	1275–1121	159 سنه	المغرب، مراكش
19	العثمانيون	-669 1343	1924-1299	944 سنه	فتره حصار القسطنطينيه

* نقلاً عن موقع ديوان العرب الإلكتروني

http://www.7eda.com



يتتبع الكتاب مفهوم السلطة والحكم في الدولة العربية الاسلامية, كيف نشأت وكيف تطورت والى أي شرعية استندت وماهي الطريقة التي مورست فيها وذلك من خلال قراءة النصوص التاريخية وتحديداً خطب الخلفاء والحكام المتعاقبين ويلاحظ الكتاب كيف تطور اختيار الحاكم من البيعة الى التغلب الى الاستخلاف والتوريث وكيف تحول من الشورى الى التجبر وما رافق ذلك من صراعات وحروب.

كما يتتبع الكتاب جدلية السلطة الاسلام القبيلة وعلاقة كل الآخرودوره في مختلف مراحل تطور الأمة العربية واثر ذلك الى يومنا هذا.

الكاتب الدكتور جمال الخطيب استشاري الطب النفسي من مواليد اربد الاردن عام ١٩٥٦ درس الطب في جامعة بغداد ثم الطب النفسي في الاردن ثم في الولايات المتحدة الامريكية حيث درس الابعاد النفسية لمرض السرطان.

الدكتور جمال
مقيم في عمان
-Psychiatry.com



Majdalawi Pup & Dis
Tel/fax:5349497 -5349499
P.o.Bo x:1758 Code11941
Amman - Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تليفاكس :٥٣٤٩٤٩٩- ٥٣٤٩٤٩٧
ص. ب ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١
عمان - الاردن

E-mail :customer@majdalawibooks.com
www.majdalawibooks.com

ISBN -978-9957-02-324-9